

# دعوة للموت

رواية

(رؤية عصرية لرواية الكونت دي مونت كريستو)

د. عمر فتحي

"الإنتقام طبق ينبغي أن يؤكل باردًا!"

صن تزو من كتاب "فن الحرب"

## إهداء

إلى أمي وأبي (رحمه الله)، إلى زوجتي وبناتي، إلى  
أصدقائي وكل من ساندني بكلمة تشجيع، أو إقتطع من  
وقته ساعة ليقرأ ما كتبت، إلى كل من وقف في وجه ظلم  
عصر بائد، أو رفع صوته، أو ضحى بحياته من أجل رفع  
الظلم عن مظلوم، إلى كل هؤلاء، أهدي هذا العمل.

## 1. الدعوة

"يُسِرُّ رجل الأعمال "ياسين عز الدين" أن يدعو سيادتكم لحضور حفل تعارف ساهر وعشاء بعزبته بالمريوطية الساعة التاسعة مساء يوم الجمعة الموافق 13 مايو 2011. في حالة عدم التمكن من الحضور، نرجو إرسال اعتذار مسبق".

تلقي "يحيى السعدني"، ضابط أمن الدولة السابق كارت الدعوة في دهشة، فهو لم يسبق له التعرف على رجل الأعمال "ياسين عز الدين" أو حتى مقابلته. وكان "يحيى" معتاداً على مثل هذه الأمور عندما كان لا يزال يعمل بأمن الدولة. فقد كان الكثير من رجال الأعمال يرسلون له بدعوات مماثلة، طلباً لصداقته، التي كانت ستعود عليهم بخدمات يؤديها لهم بنفوذه الذي حصل عليه بمقتضى وظيفته. لذلك، كان عادة لا يستجيب لتلك الدعوات إلا بعد فحص ملف مرسلها، حتى لا يوضع في ملفه أنه صاحب علاقات بأي شخصيات مشبوهة. إلا أنه كان يستجيب لصاحب الدعوة إذا كان لا غبار عليه من الناحية الأمنية، وكثيراً ما كان يؤدي خدمات لأصدقائه من رجال الأعمال حتى بدون أن يطلبوا منه ذلك. وكان هذا يعود عليه

دائماً بتسهيلات مادية عند شراء عقارات، أو سيارات بدون أن تتخذ صورة الرشوة الصريحة. وكما توقع "يحيى"، فقد تبرأ منه كل معارفه من رجال الأعمال بمجرد قيام الثورة وسقوط أمن الدولة، وإيقافه عن العمل. لذا، فقد شعر بالدهشة من وصول هذه الدعوة إليه، وخمن أن صاحبها لم يصل إليه خبر إيقافه عن العمل بالتأكيد. لذا، فقد كاد أن يعتذر عن قبول الدعوة ولكنه تراجع في آخر لحظة:

- "هخسر إيه يعني؟ عشوة نضيفه وسهرة حلوة في مكان أكيد هيكون جميل، ومية في المية هيبقى فيه ستات حلوة كمان. يلا، أهه نوع من أنواع التغيير بدل الغم اللي الواحد فيه من أربع شهور!"

فتح الدكتور "مراد السرساوي" المظروف الأثيق الذي استقر على مكتبه بالكلية، ليجد بداخله كارت دعوة مماثل للذي تسلمه "السعدني"، قرأها في سرعة.

- "يطلع مين ياسين عز الدين ده؟"

أخذ "مراد" يفتش في ذاكرته عن الاسم ليربطه بوجه يعرفه ففشل في ذلك فشلاً ذريعاً. كان "مراد السرساوي" عميداً لكلية الطب، جامعة (.....)، وكان قد حصل على منصبه بالتعيين ككل عمداء ورؤساء الجامعات في عهد

"مبارك". وكمعظم هؤلاء أيضا، لم يكن هناك ما يؤهله لتبوء هذا المنصب، إلا علاقاته القوية بجهاز أمن الدولة آنذاك، وشهرته بأنه واحد من رجال السلطة، بالإضافة لعضويته في الحزب الوطني. لم يكن بال "مراد" رائقاً لمثل هذه الحفلات، فقد كان منشغلاً بالدعوات المتصاعدة لإجراء انتخابات للمناصب القيادية للتخلص من إرث النظام السابق البالي. كان على يقين أنه إذا تم إجراء مثل هذه الانتخابات، فهو لن يبقى في منصبه. فعلى الرغم من حرصه على تكوين شلة من المنتفعين ببقائه، إلا أنه يبقى عدد أفراد هذه المجموعة محدودا إذا ما قورن بكافة أعضاء هيئة التدريس والهيئة المعاونة تحديداً. فقد كانت الهيئة المعاونة (المدرسون المساعدون) لم تتلوث بعد بأسلوب المصالح والمنفعة المتبادلة التي اتبعها "مراد" لتكوين "لوبي" داخل مجلس الكلية، يتولى أمر الفتك وتشويه أي معارض أو منتقد له داخل الكلية. لذا، فقد صار محتوماً أن يتخلى عن منصبه بإرادته قبل أن يطرد منه شر طرده.

- "معلش، شوفت لي يومين حلوين، بس مصير الأيام تدور وأرجع تاني! هما بتوع هوجة يناير فاكيرين إن الموضوع كده خلص؟ دول شوية عيال، أول ما

الزحمة تفضل، يتلموا في كيس ويترموا في أقرب  
زنزانة فاضية! وساعتها، كل واحد يرجع مكانه. هما  
مش شايفين أنا خدمت البلد قد إيه؟ كام مرة كانت  
هتقوم عندي مظاهرات في الكلية، وهتطلع من  
عندي للجامعة، لكن أنا كنت بعرف أئدها قبل حتى  
ما بيتدوا يتجمعوا. أمال يعني أسيب البلد تولع؟  
طيب ما هو أمن الدولة اسمه كده علشان بيأمن  
الدولة، قوم لما أنا أساعدهم مش أبقى أنا كمان بأمن  
الدولة؟ ما فرقتش حاجة أنا عن الظابط اللي على

الجبهة، بس حتى من غير ما أشيل سلاح!"

بهذه الكلمات، كان "مراد" يبرر لنفسه كل تصرفاته  
وسلوكه المشين. بالإضافة لقلقه على منصبه، وتردده  
في اتخاذ قرار الاستقالة، كان يعاني من مشاكل عديدة  
مع زوجته "شاهنده شوكت".

كانت "شاهنده" تصغر "مراد" بخمسة عشر عاماً،  
والدها من كبار رجال الأعمال الذين كانت لهم علاقات مع  
السلطة الحاكمة، فأصبحت كل ثرواتهم موصومة بعار  
الرشاوي، وتفوح منها رائحة عفن المحسوبة والوساطة،  
تلك الرائحة التي لا تزول أبداً ولا تطهرها ثورات أو إحسان.

كانت "شاهنده" قد عاشت معظم حياتها بالخارج، وتلقت تعليمًا في أرقى جامعات أوروبا، وتشرّبت الحضارة الغربية حتى لتدهش من قبولها الزواج من رجل له جذور صعيدية مثل "مراد". فقد كانت دائمة التأفف من عاداته الريفية. لا أحد يعلم السبب الرئيسي لهذا الزواج. يقول البعض أن "مراد" كان على وشك أن يصبح رئيساً للقسم عندما خطب "شاهنده"، على الرغم من علمه باعتناقها للثقافة الغربية والعادات والتقاليد الأوروبية، ولكنه خطبها تزلفاً لأبيها ونقوده. ويقولون إن أباه وافق على هذا الزواج تحت ضغط من شخصيات حزبية وسيادية، كانت ترى في "مراد" خادماً وفي للسلطة. تبقى كلها أقوال لا أحد يعلم صحتها، ولكن الأمر الذي يعرفه الجميع، أن "شاهنده" لم تعترض على الزواج من "مراد" على الإطلاق، بل كانت مرحبة به على الرغم من انتقادها الدائم لتصرفاته حتى في العلن، مما كان يسبب له إحراجاً، وكان يحاول التملص منه بأخذه على سبيل المزاح ويعقب عليها قائلاً:

- "مافيش فايذة فيها، مش عارف اطلع منها العرق

التركي ده! هاهاهاهاها!"



فيضحك الحضور مجاملة حتى لا يتسببوا له بمزيد من الإحراج. كان "مراد" يمر بحالة من الاكتئاب الزوجي! مشاكل في العمل، مع زوجة غير متفهمة، فتور كامل في العلاقة، مع الوضع بعد الثورة، وفقدانه لاتصالاته ومعارفه. أصبح الطلاق قاب قوسين أو أدنى. لذا، فقد طرأ على ذهنه فجأة أن الحفلة قد تكون نوعاً من التغيير المناسب الذي قد يؤدي نفس الأثر الذي يؤديه إلقاء حجر في الماء الراكد. وهكذا، ما أن دخل منزله حتى نادى على زوجته:

- "شاهنده"، "شاهنده!"

أجابته وهي تزفر في ملل:

- "هاي "مراد"، إيه اللي رجعت بدري؟"

أجابها في نبرة ساخرة مفعمة بالمرارة:

- "هو إحنا بقي عندنا حاجة نعملها؟ من ساعة الثورة

وكل يوم باجي بدري!"

"شاهنده":

- "مش هنخلص بقي من الأسطوانة دي؟" قالتها له

متأففة.

"مراد":

- "خلاص يا ستي، بصي الكارت ده، إيه رأيك؟ تحبي تروحي؟"
- سألته في استغراب:
- "مين "ياسين عز الدين" ده؟ عمري ما سمعتك جبت سيرته يعني؟"
- أجابها قائلاً:
- "أنا كمان مش فاكر ده مين، أكيد كان طالب عندي في يوم من الأيام أو معيد، مش مهم، المهم ما تيجي نروح؟"
- أشاحت بوجهها وهي تقول:
- "والله إنت بالك رايق! حفلة إيه في القرف اللي إحنا فيه ده؟"
- أجابها في نبرة متوسلة:
- "انتي لسه قايلة نخلص من الأسطوانة، هيبقى تغيير لطيف، نشوف ناس جديدة، مكان جديد، مش هنخسر حاجة يعني".
- نظرت له وهي صامتة. فقد كانت تفكر جدياً في الطلاق. لقد اختفت كل الأسباب التي كانت تدعوها للزواج. حتى "مراد"، انتفت حاجتها إليه. فلقد حصلت بزواجها منه

على صك الغفران من المجتمع المصري، بعد أن عاشت حياتها بالطول والعرض في أوروبا، كان لابد من محلل ليقبل بها الوطن مرة أخرى. لذا هي لم تتردد عندما خطبها "مراد"، وكان في مستوى علمي واجتماعي ومادي مقبول بالنسبة لها، والمهم أنه كان يعرف، والأهم أنه كان يقبل! هي لم ترد أية فضائح أو شوشرة بعد الزواج، لقد كان التفاهم تاماً. أما "مراد" فقد لعب دور العبيط ببراعة، كأن شيئاً لم يكن. ولم يتحدث في الموضوع ولا مرة منذ زواجهما. لذا، فقد شعرت للحظة بالشفقة تجاهه، فعزمت على إلقاء عظمة يلهو بها:

- "أوكيه يا مراد، نروح الحفلة".

دخل د. "عزيز رفعت" رئيس مصلحة الطب الشرعي السابق من باب البناية التي يسكن بها، وتفقد صندوق البريد ليعثر على مظروف فخم، يحتوي على كارت دعوة مماثل. حاول "عزيز" أن يتذكر الاسم:

- "ياسين عز الدين"؟ "ياسين عز الدين"؟ الظاهر

الواحد كبر وخرف! مش قادر أفكر الاسم خالص.

يطلع مين "ياسين عز الدين" ده؟".

وصل إلى باب الشقة في تلك اللحظة. كان يعيش وحيدا بعد أن تركته زوجته لعلاقاته النسائية المتعددة. المعروف عن "عزيز" أنه ابن النظام البار، لم يحدث مرة أن صدر له تقرير عن أسباب وفاة لأي حالة من حالات المساجين وتم إثبات حدوث تعذيب أو تحميل المسؤولية للنظام. هل أنت ضابط سادي؟ د. "عزيز" هو ضالتك يا صديقي. هل تستمتع بشحن السجناء بالكهرباء؟ خذ راحتك، د. "عزيز" (got your back) أو كما يقولون "عزيز مغطي ظهرك!"، لا تخشى شيئا لن يحاسبك أحد، في الغالب السجن قدم إليك وهو يحتضر أصلا، أنت لم تتسبب في وفاته لقد كنت تؤدي واجبك يا صغيري فلا تبتئس! "عزيز" بلا فخر، صاحب رقم قياسي في عدد الحالات التي تم تسجيلها "هبوط حاد في الدورة الدموية!"

دخلت سكرتيرة "طلعت ذهني" إلى مكتبه وهي تحمل مظروفا أنيقا:

- "طلعت بيه، فيه واحد ساعي جاب لحضرتك

الظرف ده".

أخذ "طلعت" المظروف من يدها وتفحصه بعينين نصف مغمضتين من آثار سهرة البارحة ثم ألقاه إليها بإهمال على المكتب قائلاً:

- "افتحيه واقريه، أنا مش شايف قدامي".

تناولت السكرتيرة المظروف وفتحته وقرأت:

- "يسر رجل الأعمال "ياسين عز الدين" أن يدعو

سيادتكم لحضور حفل تعارف ساهر وعشاء بعزبته

بالمريوطية الساعة التاسعة مساء يوم الجمعة

الموافق 13 مايو 2011. في حالة عدم التمكن من

الحضور، نرجو إرسال اعتذار مسبق".

- "ياسين عز الدين؟" تتمم "طلعت" بالاسم وعقله

لا زال مشوش بأثار الخمر والمخدرات منذ البارحة.

سأل السكرتيرة في حيرة:

- "أنا ما أعرفش حد بالاسم ده! فيه حد من اللي لينا

معاهم شغل بالاسم ده؟"

أجابته نافية:

- "الاسم ده ما عداش عليا قبل كده يا فندم"

بادرها في ملل:

- "طيب، شوفي لي جدول مواعيدي كده، في أي ارتباطات في اليوم ده؟"  
أجابته قائلة:

- "لا يافندم، ده يوم جمعة و...."

- "ما أنا عارف إنه يوم زفت!!! صرخ فيها بلا أي مبرر،" ما تشوفي لي وخلص، يمكن مدي مواعيد لحد برة المكتب!!!"

انصرفت في انكسار لتراجع جدولته، بينما حدث هو نفسه:

- "وماله، يمكن يبقى فيها سبوبة حلوة نقلبها من وراه!"

عادت إليه وقالت بصوت مبحوح:

- "حضرتك فاضي الجمعة".

أشار لها بيده لتنصرف، ثم أغمض عينيه وراح في النوم. كان "طلعت ذهني" من رجال الاعمال الذين اشتهروا بعد عام 2000، وأصبح لهم نفوذ نسبي في مصر. كان يتاجر في أي شيء وكل شيء يمكن أن يتاجر به. طبعاً، لم يكن مصدر ماله نظيفاً، فقد بدأ حياته موزعاً للمخدرات على أصدقاءه ومعارفه. كان يفعل هذا في البداية ليغطي مصاريفه التي كانت تتزايد بصورة ملحوظة كلما توغل في إدمانه

للمخدرات. تبرات منه أسرته، ففقد مصدر تمويله الأساسي، لذا توجه للتوزيع على الأصدقاء والمعارف، وكان نصيبه يأخذه من الموزع الذي يعلوه مرتبة في صورة مخدرات لاستهلاكه الشخصي. شيئاً فشيئاً، زاد نشاط "طلعت" بصورة ملحوظة، حتى أصبح يجني أكثر مما يستهلك، فعرض عليه المورد "عادل الملط" في هذا الوقت أن يصبح شريكه بصورة كاملة. ولأن كل الأموال التي لا تستطيع أن تعلن عن مصدرها تحتاج لغطاء قانوني، فقد اتفقا على تأسيس شركة للاستيراد والتصدير لغسل أموالهم القذرة ووضعها في ثوب نظيف يحميها من برد مصلحة الأموال العامة، ويداري سواتها عن أعين قانون "من أين لك هذا". وعلى عكس ما ظن "طلعت"، لم تشفع له شركته ولا أمواله المغسولة عند أسرته لتقبل به، بل اعتبروه ميتا بعد أن جلب لهم العار. وفي الواقع، لم يكن "طلعت" يهتم بأسرته على الإطلاق، بل شعر بالسعادة لموقفهم هذا، فقد أزاحوا عن كاهله العبء الاجتماعي الذي كان يشعر به وشعوره بالتقصير تجاه أسرته، فضلا عن استراحته من الواجب المادي تجاههم:

- "جت من عندهم، وكده أنا ماعلياش ذنب"، هكذا  
كان يحدث نفسه. ولكن، تبقت "زينة" ابنة عمه،  
والجرح الغائر في قلبه.

صدق أو لا تصدق، أمثال "طلعت" قادرون على الحب، أو  
سمه الرغبة في التملك أو حتى عدم القدرة على تقبل  
الرفض. لقد كان في حياة "طلعت" نوعين من الإدمان،  
إدمان المخدرات وإدمان "زينة" ابنة عمه! المدهش في  
الموضوع أن "زينة" منذ كانا أطفالا وهي لا تطيق "طلعت"  
على الإطلاق! الأمر الذي يجعلك تندهش من سبب تعلقه  
بها لهذه الدرجة، ثم بعد إعادة تفكير تفتن إلى أن هذا هو  
نفسه السبب! لم يكن جمال "زينة" المبهر، ولا تربيتهما  
القوية، ولا ثقافتها العالية، ولكن لمجرد أنها كانت  
ترفضه. ولأنه لم ينلها قط، فقد فشل في الإقلاع عن إدمانه  
لها. حاول مئات المرات، جرب الخمر، والمخدرات،  
وعشرات النساء، ولكنه لم يفلح في الشفاء منها. كان كل ما  
يجنيه من محاولته هو المعاناة من أعراض الانسحاب ثم  
الفشل والعودة عن طريق الوقوف أمام منزلها ليراها دون  
أن تراه. لا زال "طلعت" يذكر عندما ذهب لعمه، رحمه  
الله، ليطلب يدها وكان في ذلك الوقت يمتلك نقوداً ادخرها



من توزيعه للمخدرات، وبدأ في تأسيس الشركة. لن ينسى مقابلة عمه ولا معاملته له كأنه أجرب! حتى "زينة" نفسها، أدارت وجهها في أسف أنه واتته الجرأة للتفكير في الارتباط بها. لم يذكر "طلعت" أنه استهلك كمية مخدرات مثلما فعل في تلك الليلة! بقيت "زينة" جرحاً غائراً في صدره، خاصة بعد أن تزوجت بأستاذ في الجامعة، كاد "طلعت" أن يذهب ليفتك به ليلة زفافهما، لولا شريكه "عادل الملط" الذي أغلق عليه المخزن بعد أن استدرجه إليه وتركه يقضي فيه ليلته حتى يهدأ ويكون العروسان قد سافرا لقضاء شهر العسل. لم يفعل شريكه "عادل الملط" هذا حباً في "طلعت" ولا خوفاً عليه، بل لأن أي تصرف يؤدي للقبض على "طلعت" قد يدمر كل ما كانا يحاولان تحقيقه في ذلك الوقت. حتى بعد موت "زينة"، ساء الوضع بالنسبة "لطلعت". فهو لن ينسى يوم وفاتها مهما طال به الزمن، كما أن الرغبة في شيء مع الأمل في الحصول عليه في يوم من الأيام، تختلف تماما عندما ينمحي هذا الأمل من الوجود.

دخل "عادل الملط" مكتب "طلعت"، وأغلق الباب بعنف ليوقظه من نومه:

- "ناموسيتك كحلي يا هندزة! شكلك تقلت العيار امبارح".

انتفض طلعت من نومه فزعا:

- "الله يحرقك يا أخي! حد يصحي حد كده؟"  
أجابه مستهزئاً:

- "وهو حد ينام في الشغل برضه واحنا لسه ما بقيناش الظهر حتى؟ الزباين يقولوا علينا إيه؟"  
قال "طلعت" ساخراً:

- "والنبي تتوكس، على رأي أمي الله يرحمها! زباين إيه ونيلة إيه؟ ما تشوف إحنا بقي لنا قد إيه ماحدث عبر أهلنا؟ من يناير اللي فات؟ ده غير الشروط الجزائية اللي عمالين ندفع فيها!"  
أجابه عادل في لوم:

- "تصدق إنك جاحد بجد؟ إذا كان شغل الشركة عطل شوية، فشغل البودرة شغال زي الفل! خصوصاً إن الداخلية مش فاضية لنا اليومين دول! بدمتك أنهي ابقى لك، شغل الشركة ولا شغل البودرة؟"

أجابه "طلعت" في سرعة:

- "البودرة ما فيش كلام، بس ما دام ما فيش شركة  
دلوقتي، سيبيني أتنييل اتخمد!"  
قال عادل في نفاذ صبر:
- "يا عم اتخمد براحتك، أنا جاي أسألك عن واحد  
اسمه "ياسين عز الدين"؟"  
انتبه "طلعت" من جلسته:  
- "إنت تعرفه؟"  
هز "عادل" رأسه نافياً:  
- "ولا عمري سمعت عنه!"  
سأله "طلعت" في فضول:  
- "أمال بتسأل عليه ليه؟".  
أجابه "عادل" ضاحكاً وهو يهندم ملابسه:  
- "عازمني على حفلة".  
- "إنت راخر؟ أكيد عايز يعمل معانا شغل"، قالها  
"طلعت" بلا اهتمام وهو يعود لجلسته الأولى  
ويغمض عينيه.  
أجابه "عادل" في حيرة:  
- "ما أنا قلت كده برضه، بس مش عارف انهي شغل  
فيهم؟"

أجابہ طلعت دون أن يفتح عينيه:

- "لما نروح هنعرف!"

## 2. الحفلة

دخل "يحيى السعدني" من باب فيلا "ياسين عز الدين" وهو يشعر بالقلق والفضول في آنٍ واحد. فلقد فشل في العثور على أي معلومات تخص الأخير. يرجع ذلك إلى حالة الشلل التي تعيشها أجهزة الدولة في الوقت الحالي. ولكنه أيضا لم يستطع جمع أي معلومات تخص "ياسين عز الدين" من الطرق غير الرسمية. كل ما أمكنه العثور عليه هو معلومات تقول إن "ياسين عز الدين" رجل أعمال ناجح ومليونير، يقترب بخطى حثيثة من تصنيف الملياردير، عاد إلى مصر من كندا، التي يبدو أنه هاجر إليها منذ فترة. المثير للشك هو عدم العثور على أي معلومات عنه في فترة ما قبل الهجرة.

- "حتى لو فيه معلومات، هنجيبها إزاي اليومين دول! عموما، أكيد هعرف عنه كل حاجة، كلها شوية وقت والدنيا تتظبط".

كان "يحيى" يوقن من داخله أن النظام لم يسقط فعليا ولن يسقط بهذه السهولة، وأنهم فقط في مرحلة التقاط الأنفاس وتهدئة الجماهير.

وقع نظر "يحيى" عندما دخل على "شاهنده شوكت"، التي ارتدت فستان سهرة في منتهى الأناقة، كشف عن مفاتها، على الرغم من أنها تخطت الأربعين. كانت "شاهنده" في قمة جمالها في هذه الليلة. لذا فقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة عندما رآها:

- "برضه الدهن في العتاقى!"

همس لنفسه وهو يتذكر العلاقة التي جمعتة بها بعد زواجها "بمراد" بأشهر قليلة. كانت معرفة "يحيى" "بمراد" وطيدة بحكم عملهما. فقد كان "مراد" وهو لا يزال طالباً في الكلية يتعاون مع جهاز أمن الدولة بالإبلاغ عن زملائه في الكلية ممن لهم نشاط سياسي. وقد كان "يحيى" هو من ساعد "مراد" على أن يصبح رئيساً للقسم، ثم عميداً للكلية. طبعاً هو لم يفعل ذلك من أجل مصلحة العمل، ولكن من أجل عيون "شاهنده" التي كانت تريد أن يظل زوجها على المستوى الاجتماعي المطلوب لتتوارى سواة طباعه الريفية وراء المركز المرموق.

- "دكتور مراد! ده إيه النور ده كله؟" قالها "يحيى"

في خبث وهو ينظر "لشاهنده" التي ابتسمت لرؤية "يحيى".

- "أهلاً، أهلاً" يحيى "باشا، الحفلة نورت كويس إن فيه حد نعرفه!" قالها "مراد" محيياً.  
سأله "يحيى" في اهتمام:
- "ليه؟ هو إنت ما تعرفش "ياسين عز الدين"؟"  
هز "مراد" رأسه نافياً وهو يقول:
- "ده أنا كنت لسه هسألك عليه! إنت تعرفه؟"  
- "طبعاً!! ده حبيبي!"، قالها "يحيى" وهو يحاول أن يبدو عليماً ببواطن الأمور مما يتماشى مع مركزه السابق ثم استدار مخاطباً "شاهنده":
- "إزيك يا "شاهنده" هانم؟"  
- "أهلا يا "يحيى" باشا" قالتها "شاهنده" في دلال متعمد.
- تنحى "مراد" في حرج وهو يقول:
- "فيه حد تاني تعرفه يا "يحيى" باشا موجود هنا؟"  
جال "يحيى" ببصره في حديقة الفيلا حتى وقع بصره على دكتور "عزيز رفعت" يقف مع اثنين من المدعوين:
- "دكتور "عزيز" بتاع الطب الشرعي هناك أهه، يا دكتور "عزيز"!"

التفت له "عزيز" الذي كان يقف مع "طلعت ذهني" وشريكه "عادل الملط"، فتهللت أساريره عندما رآه:

- ""يحيى" باشا! ده إيه الصدف السعيدة دي!"

كانت العلاقة التي تربط "عزيز" و"يحيى" علاقة صداقة قائمة على العمل والخدمات المتبادلة. فقد كان موقع "عزيز" في الطب الشرعي يتيح له التغاضي عن أسباب الوفاة التي تنجم عن التعذيب في سلخانات الداخلية وأمن الدولة. وبالمثل، كانت هذه الخدمات تتيح له التمتع بنفوذ قوي. تخيل أنك زورت تقرير تنفي فيه تهمة القتل عن ضابط أمن دولة، ماذا يمكن أن يفعل لك هذا الضابط بالمقابل؟ سلطة لا محدودة! كانت علاقته "بطلعت ذهني" و"عادل الملط" شبيهة بذلك، ولكن دائماً كان المقابل مادي. خبير في الطب الشرعي مرتشي، واثنان من تجار المخدرات، ويمكنك أن تتخيل الباقي.

- "أهلاً "يحيى" باشا! أشرقت الأنوار يا أفندم!" قالها

"عزيز" مداعباً "يحيى".

بادره "يحيى" مازحاً:

- "إزيك يا دكتور "عزيز"، مالك عجزت كده؟"

هز "عزيز" رأسه في أسى وهو يقول:



- "هو اللي البلد شافته شوية يا "يحيى" باشا، ده كلنا  
شعرنا ابيض من الخضة يا راجل!"
- "اتكلم عن نفسك يا "عزيز"!"، قالها "يحيى" في  
خبث وهو ينظر "لشاهنده"، التي ابتسمت  
بدورها. ثم واصل كلامه قائلاً:
- "ما عرفتكش صحيح، دكتور "مراد السرساوي"،  
عميد كلية الطب، جامعة.....، وحرمه مدام  
"شاهنده شوكت"!"
- قال "عزيز" وهو يصفحهما:
- "غني عن التعريف يا دكتور "مراد"، إحنا كنا في  
نفس الدفعة، بس أنا ما تعينتش في الجامعة!"
- "ربنا بيحبك يا دكتور "عزيز"، جامعة إيه وكلام  
فارغ إيه كله أونطة!" قالها "مراد" مازحاً.
- صافح "عزيز" "شاهنده" وهو يقول:
- "حضرتك بنت "شوكت بيه السنداوي"؟ أنعم  
وأكرم يا هانم"
- "ميرسي دكتور "عزيز"، كلك ذوق"، أجابته  
"شاهنده" مجاملة.

- "تعرف حد هنا تاني يا دكتور "عزيز"؟" سأله "يحيى" في فضول.
- "انت يا باشا واللاتين اللي كنت واقف معاهم بس، "طلعت ذهني" و"عادل الملط" رجال أعمال استيراد وتصدير". أجابه "عزيز" ثم أكمل قائلاً "حتى صاحب الحفلة ماعرفوش!"
- "ولا إحنا نعرفه يا دكتور "عزيز"، طيب وطلعت بيه وعادل بيه؟" أجابه "مراد" في تساؤل.  
رد عليه "عزيز":
- "ولا هما برضه يعرفوه!"
- "واضح كده إن ماحدث يعرفه غيرك يا "يحيى" باشا!" قالها "مراد" وهو ينظر "ليحيى".  
ابتسم "يحيى" وهو يحاول الهروب من الموقف:
- "أبداء، "ياسين" ده راجل أعمال كان مهاجر لكندا، ورجع قبل هوجه يناير بكام شهر. إنما انتي رأيك إيه في اللي بيحصل في البلديا "شاهنده" هانم؟" قالها مغيراً دفة الحديث.
- هزت "شاهنده" رأسها في اشمئزاز وهي تقول:

- "طبعاً أنا مش مع اللي حصل، مش معقول شوية عيال يوقعوا البلد! الواحد دلوقتي علشان يخرج من بيته لحد النادي اللي في آخر الكومباوند، لازم ياخذ معاه بودي جارد! دي ما بقتش عيشة دي! ما كنا عايشين ومرتاحين من القرف ده!"
- "عندك حق والله يا هانم، الواحد مش عارف الناس دي عايزة إيه بالضبط! لا ويقولوك ديمقراطية! هو البقر اللي هنا دول تنفع معاهم الديمقراطية؟ شوية جهلة مايعرفوش الألف من كوز الدرّة ويقولوك ديمقراطية! مش سعادتك كنت حزب وطني يا دكتور "مراد"؟"، قالها "عزيز" وهو يوجه الحديث لزوجها.
- "يا دكتور "عزيز" ما إنت عارف، أي عميد أورئيس جامعة لازم يبقى من الحزب"، قالها "مراد" وهو يحاول أن يقف في منطقة وسط.
- "أمال هو فين "ياسين عز الدين" ده؟ بقي لنا ساعة وما شرفش لحد دلوقتي!" قالها "يحيى" متذمراً.
- "فعلا، دي قلة ذوق!" قالتها "شاهنده" مؤمنة على كلامه.

في هذه الأثناء، وفي داخل الفيلا كان "ياسين" يضع  
اللمسات الأخيرة على مظهره وهو يوجه كلامه لسكرتيرته  
الخاصة وكاتمة أسراره "نورين":

- "كل حاجة جاهزة؟"

- "كله تمام، ماتقلقش من أي حاجة"، أجابته في  
ثقة.

قال في نبرة قلقة:

- "'نورين"، انتي عارفة الليلة دي مهمة قد إيه؟"

قالت في نبرة مطمئنة:

- "عارفة يا "ياسين"، والله عارفة! وعارفة إنت  
مستنيها بقي لك قد إيه، قلت لك ما تقلقش، أنا  
نفذت تعليماتك بالحرف الواحد!"

ابتسم لها "ياسين" دون أن يخفي توتره. ثم أخذ نفساً  
عميقاً وهو يغمض عينيه ليستعيد تركيزه، ثم فتحهما وقد  
بدا في قمة الهدوء فجأة وقال:

- "على بركة الله". ثم توجه لينضم للمدعوين  
بالحديقة.

أخذ "ياسين" يجول بين المدعوين في ثقة، حتى اقترب من  
"يحيى" ومن معه، وانضم إليهم "طلعت" و"عادل". تطلع

الجميع إليه في فضول وهو يصفحهم بيد ومربتاً على أكتافهم باليد الأخرى. كان "ياسين" وسيم الملامح، شعره يموج بالشيب حتى لتحتار في سنه الحقيقي لو ارتدى قبعة ستظن أنه في الخامسة والثلاثين على أقصى تقدير، ولو ارتدى نظارة مع لون شعره قد تظنه في الخامسة والخمسين. حتى أن "يحيى" سأل نفسه:

- "هو ليه مش صايغ طيب؟ ده لو صبغ مش هيبان عليه سن خالص! ما هو الشكل ده مع الشعر ده يبقى أكيد حاقن، ما دام حاقن يصبغ بالمرّة! ناس عجيبة والله! بس شكله مش غريب عليا! أنا متأكد إننا اتقابلنا قبل كده، بس مش قادر أفكر فين! باين عليك عجزت يا "يحيى"! بس العينين دي؟ هتجنن لو ما افتكرتش!"

كان نفس التساؤل يدور في أذهان عزيز ومراد، انتابهما نفس الشعور بأنهما يعرفان هذا الرجل! ولكن لم يستطع أحدهما أن يحدد أو يتذكر من هو أو متى قابلاه.  
قال "ياسين" مرحباً:

- "اهلاً بيكم يا جماعة، شرفتوني كلكم النهارده! أنا في منتهى السعادة إنكم قبلتوا دعوتي!"

تمتم الجميع ببعض العبارات المجاملة، ثم انبرى "يحيى" قائلاً في حدة:

- "هو إحنا اتقابلنا فين قبل كده؟"

مما جعل "شاهنده" تنظر له في سخرية و"مراد" ينظر له في دهشة وهو يهمس لنفسه:

- "أه يا ابن الكدابة! ده إنت لسه قايل ده حبيبي!".

قال له "ياسين" في هدوء وهو يعزم عليه بسيجار من جيبه، تناوله "يحيى" وهو يدسه في جيبه، فقد شعر أن "ياسين" يريد أن يلهيه عن إجابة السؤال:

- "ما أظنش أننا اتقابلنا قبل كده خالص يا "يحيى"

باشا، مع إني أعرفكم كلكم كويس قوي".

- "تعرفنا منين؟"، قالها دكتور "مراد" في هدوء هو

الآخر.

قال "ياسين" في دبلوماسية:

- "مش شخصياً طبعاً قصدي إني جمعت عنكم

معلومات لأني عايز أتعاون معاكم كلكم في شغل. في

الواقع، أنا عندي ثروة محترمة كونتها في كندا بعد

ما هاجرت، ورجعت علشان استثمرها في مصر بعد

ما صفيت كل أعمالي هناك. لكن للأسف زي ما أنتم

شايفين الثورة قامت، والوضع بقي مش مناسب  
لأي استثمارات جديدة، لكن ده مش معناه انه  
الوضع هيبقى على ما هو عليه لفترة طويلة، وأنا  
راجل بحب أخطط لقدام واكون جاهز لكل  
الاحتمالات علشان كده حبيت إني استعين بيكم،  
كل واحد في مجال تخصصه، علشان لما نحب  
نبتدي، ما نتعطلش كثير".

وجد كلام "ياسين" هوى في نفس "طلعت" و"عادل"  
الليان وجدا فرصة قد تدر عليهما ربحاً لا بأس به، وشك في  
نفس "يحيى" الذي لم يفهم ما الذي يجعل رجل في ثراء  
"ياسين" يبقى في مصر في الوضع الحالي، وتساؤل في نفس  
"عزيز" و"مراد" عن المجال الذي يمكن أن يتعاونوا فيه مع  
رجل أعمال مثل "ياسين"، واستمتع في نفس "شاهنده"،  
التي كانت تتلذذ بمشاهدة علامات الغباء على وجوه  
المجموعة.

- "هو إيه مجال شغلك بالظبط يا "ياسين" بيه؟"
- سألته "يحيى" في فضول متشكك.
- "مجالات يا "يحيى" بيه، مش مجال واحد. شغلي  
في كندا علمني إن بعد مرحلة معينة، غلط جداً إنك

تقصر شغلك على مجال واحد"، قالها وهو يرى "نورين" تطوف بالمدعويين وورائها الجرسونات بقدمون لهم المشروبات، كما أخذت السترات والحقائب لتضعها في دولاب مخصص لذلك، ليستردوها عند انصرافهم، فتابع قائلاً:

- "يعني إنت مثلاً يا "يحيى" بك، هتتولى إدارة شركة خدمات أمنية على أعلى مستوى ودي الشركة الوحيدة اللي لو ابتدت شغلها في اللحظة اللي إحنا فيها دي، هتحقق مكاسب مذهلة! وده طبعاً بسبب الأوضاع الأمنية السيئة حالياً".

ثم التفت "العزیز":

- "طبعاً دكتور "عزیز"، خير في السموم، وما فيش حد أقدر منه على إدارة شركة للمستحضرات الكيماوية".

ثم أدار وجهه "لمراد" قائلاً:

- "أما دكتور "مراد" فهو هيتولى الشق العلمي للمشاريع البحثية من المجموعة. شغلي برة علمني أن أي مشروع مافيش فيه جزء خاص بالبحث العلمي يبقى قلته أحسن!"



ثم نظر "طلعت" و"عادل":

- "وطبعا أي حاجة هنحتاج نستوردها من برة  
"طلعت" بيه و"عادل" بيه هيقوموا بالمهمة دي  
على أكمل وجه!"

صمت برهة ليترك كلامه أثراً في نفوسهم ثم أردف:

- "ده طبعا غير إن علاقات كل واحد فيكم في مجاله  
والمكان اللي كان بيشتغل فيه، هيبقى ليها أكبر أثر  
في سرعة إنجاز المطلوب، ونجاح المشاريع. وطبعا  
الأمر المادية هيتم الاتفاق عليها، لكن أحب أكد  
لكم إنكم هتكونوا أكثر من مبسوطين معايا!"

أخذوا ينظرون جميعاً لبعضهم البعض، فقد داعب  
"ياسين" الأمل في قلوبهم! خاصة "يحيى" و"مراد"  
و"عزيز". فالثلاثة تمت الإطاحة بهم أو على وشك أن  
يطاح بهم من مناصبهم بسبب ثورة يناير! لذا، فقد كان ما  
يعرضه "ياسين" عليهم يمكن أن يعرضهم عما فقدوه. أما  
"طلعت" و"عادل" فلم يكن الأمر بالنسبة لهما يعني أكثر  
من المزيد من النقود، وقد انتويا بالطبع أن يختلسا من  
"ياسين" قدر استطاعتهما.

- "المهم دلوقتي ياريت تستمتعوا بالحفلة، ونخلي الكلام في الشغل لبعدين، أنا بس حبيت أتعرف بيكم الأول، قبل ما أتصل بيكم بخصوص المشاريع دي. عن إذنكم!" قالها "ياسين" وانصرف ليرحب بباقي المدعويين، وانضمت له "نورين" وهي تهمس في أذنه:

- "إيه الأخبار؟"

أجابها قائلاً:

- "كله تمام، بس زي ما توقعت، "يحيى" هيتعبنا شوية!"

قالت في ثقة:

- "ما تقلقش، أنا شايفة إنك عامل حساب لكل حاجة!"

سألها في تشكك:

- "تفتكري؟ لازم نحط حساب لكل الاحتمالات. أنا محتاج أقعد لوحدي شوية بعد الحفلة، المهم كمل بقية الخطة زي ما اتفقنا!"

ابتسمت له ابتسامة مشرقة وهي تقول:

- "أكيد!"

في ذلك الوقت، كان "يحيى" يقف مع "شاهنده" منفرداً يتهامسان، بينما وقف "عزيز" مع "مراد" بعيداً عنهما، في حين أخذ "طلعت" يتحدث في هاتفه بعيداً عن "عادل" الذي تابع تناول الطعام من البوفيه. وعند نهاية الحفل تناول الجميع معاطفهم، وصافحوا مضيفهم، على وعد بقاء قريب للنقاش في المشاريع المقترحة، وانصرفوا كل إلى منزله.

### 3. خيانة

نشأ "مراد السرساوي" في قريته التابعة لمحافظة "شبين الكوم" نشأة دينية محافظة، وقد سماه أبوه على اسم ابن الباشا الذي كان جد "مراد" يعمل عنده قبيل ثورة يوليو، على الرغم من كره أبو "مراد" لابن الباشا مالك العزبة إلا أنه كان دائم النظر إليه بانبهار يبطنه الحسد والغيرة. كان أبو "مراد" دائماً ما يقول له:

- "يعني لو كنت اتولدت أنا مكان ابن الباشا ده مش كان زمانك إنت كمان سليل باشوات؟ والله ده ما كان يستحمل مني قلم واحد كان يموت فيها طوالي. بس أنا كنت بسببه علشان الباشا مايد هولش عيشتنا! دنيا ما بتديش محتاج صحيح!".

هكذا نشأ "مراد" على إحساس دائم بعدم الرضا والدونية، والتطلع لما في يد الآخرين. هذا الإحساس تبعه بالضرورة اعتناق مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، والذي طبقه "مراد" بعد ذلك في كافة جوانب حياته. وقد حاول أبوه أن يلحقه بالثانوية الأزهرية لما ظنه قد يضيف مكانة مرموقة في بلدهم، ولكن "مراد" كان قد بدأ يكبر وتفتحت مداركه وأدرك ما يريد تحقيقه والسبيل إلى ذلك. ولما كان السبيل

إلى الانتماء للسلطة بصورة مباشرة من رابع المستحيالات نظراً لدنو مركزه الاجتماعي والمادي. فلم تكن لديه إلا محاولة تحقيق ثروة تحقق له مكانة اجتماعية مقبولة. مرة أخرى بدا هذا حلم بعيد المنال، فأى مشروع يحتاج إلى رأس مال معتبر ليكفل له الأرباح المرجوة، لذا، لم يتبق لدى "مراد" إلا استغلال ما يملكه بالفعل، ذكائه، للحصول على درجات علمية عالية. لم يكن ذلك نابعاً من اجتهاد في الاستذكار بقدر ما كان نابعاً من حسن توقع للأجزاء التي سيوضع منها الامتحان، بالإضافة لابتكاره طرق في الغش يصعب كشفها في ذلك الوقت. كان وقت حصوله على الشهادة الثانوية، يواكب الوقت الذي كانت فيه "الخمسة عين" الخاصة بالأطباء، هي حلم كل شاب، ومهنة الطب هي إحدى الطرق المؤدية للثراء، لذا كان اختياره لكلية الطب هو الاختيار الأمثل لتحقيق أهدافه. كان هذا بالطبع قبل تكديس الأطباء في مصر، أو بقائهم للعمل في الوحدات الصحية حتى سن الخمسين دون الحصول على الماجستير أو الدكتوراة.

التحق "مراد" بكلية الطب الأقرب إلى قريته، وأبدى فيها تفوقاً ملحوظاً، كما حاز على اهتمام أساتذته وبدأ في التقرب

منهم عن طريق الهدايا والتي كانت دائماً من الطعام الفلاحي الذي تعده والدته. فكان منهم من يضع ذلك في اعتباره أثناء الامتحانات الشفوية، ومنهم من يتجاهله. وحرص "مراد" منذ اليوم الأول على الاتصال بالمسئول عن الأمن في الجامعة، وأبدى استعداداً للتعاون، في وقت كانت الجماعات الإسلامية في الجامعات هي كابوس النظام بالإضافة لنشاط اليساريين. وقد ساهم "مراد" في اعتقال عدداً لا بأس به من زملائه بناء على التقارير التي كان يكتبها. ثم تلا ذلك تعاونه مع أمن الدولة عن طريق "يحيى السعدني" كما ذكرنا أنفاً وزواجه من "شاهنده شوكت".

كانت "شاهنده" من أعقد الشخصيات التي قابلها "مراد" في حياته. لم يعرف أبداً هل هذا بسبب نشأتها في دولة أجنبية، أم بسبب تدليل أبائها "شوكت السنداوي" لها لأنها ابنته الوحيدة، أم أنها فعلاً "فيها عرق تركي" كما كان يقول عندما تخرجه أمام الناس، أم أنها شخصية معقدة بطبيعتها، أم كل تلك الأسباب مجتمعة.

نشأت "شاهنده" بعيداً عن أي رقابة أسرية، حيث ولدت بإنجلترا وقضت طفولتها هناك، بعيداً عن مصر، وكان أبوها يزورها هي وأمها كل ثلاثة أشهر، أو كلما سنحت له ظروف

عمله. وكانت هي ووالدتها تنتقلان بين دول أوروبا، ففشلت حتى في اكتساب الطباع الإنجليزية المتحفظة، وكانت أقرب دولة لقلبها هي هولندا، التي اعتادت على قضاء إجازة الصيف بها سنويا، وذلك لما تعرف به هولندا من انحلال أخلاقي في كافة الموبقات بلا رادع ولا رقيب. كانت الأيام القليلة التي تقضيها "شاهنده" في مصر أشبه بالكابوس بالنسبة لها. ما أن تطأ قدماها أرض مصر حتى تبدأ في عد الأيام لتغادرها، ولكن حتى في مصر كانت تمارس حياتها بأريحية بلا قيود. والواقع أن والدها ذو الأصول التركية لم يكن يقلقه ذلك، فهو لم يعتبر نفسه مصريا في يوم من الأيام، ولم تكن مصر تعني له أكثر من مكان يستطيع ممارسة عمله به في حرية؛ لانتشار الفساد الحكومي بها، وسهولة انقضاء المصالح ما دمت تستطيع أن تدفع الثمن المناسب، مما يسر له مضاعفة ثروة أسرته لعدة أضعاف. وبدأ كابوس "شاهنده" عندما أنهت دراستها الجامعية، وأمرها والدها بالعودة إلى مصر لتبدأ تولي أمور امبراطوريتهم الاقتصادية، فهو لم يرزق بأولاد غيرها ويجب عليها أن تعي أسرار العمل وكيفية تسيير الأمور في مصر، وبناء سمعة لها كسيدة أعمال لا يشق لها غبار. وعلى

الرغم من أنها طفلة المدللة، إلا أنه لم يقبل أي نقاش في هذا الموضوع. وكانت تدرك جيداً أنه على الرغم من حبه وتدليله لها، فإنه لن يتوانى عن التوقف عن الصرف عليها، بل واقتطاعها من وصيته. كانت تدرك أنه على الرغم من مظهره الراقى المتحضر، فإن غضبته لا قبل لها بها. كما أنه ورث العناد عن أجداده الأتراك. لذا، اضطرت "شاهنده" مرغمة للإذعان لوالدها ورغبته. ولم تفاجأ عندما فاتحها برغبته في أن تتزوج "مراد" بعد ضغط من الحزب نتيجة لاتصالات "يحيى السعدني". ولأنها ذكية، كانت تدرك حاجتها لزوج في هذا المجتمع الذي يمكن أن توصم فيه بالعار نتيجة انحلالها عندما كانت تعيش في أوروبا. كانت تدرك أيضاً أنه لا بد أن يكون هذا الزوج سهل الانقياد، وتشعر دائماً بالتفوق عليه بينما يشعر هو بالدونية، فهي لم تكن لتحتمل أن يأمرها كائن من كان حتى لو كان زوجها. يجب أن يتلقى هو منها الأوامر، كما يجب أن يشعر دائماً بالعرفان لها ولأبيها لتزويجه منها. بهذا لن يثير موضوع فقدانها لعذريتها أي مشاكل معه. لذا، كان زواجها من "مراد" شبه مثالي للثنتين. هي وجدت فيه الزوج الذي يطمح للسلطة، ومن الممكن أن يتنازل عن مبادئه في سبيل



الوصول إلى غايته. وهو وجد فيها البوابة الذهبية للعبور إلى الطبقة الأرستقراطية. حتى لو تنازل عن كل القيم والمبادئ التي غرست فيه اجتماعياً، وإن لم يكن عائلياً. والواقع أن حياته مع "شاهنده" كانت نوعاً من التعذيب البطيء والصامت في نفس الوقت، فلا هو قادر على الأنين والشكوى ولا العذاب ينتهي. فقد دأبت "شاهنده" على تذكيره دائماً بأصوله أنه "فلاح". جاء ذلك دائماً في صورة تصحيح لأي شيء يفعله بطريقة عفوية، من ارتداء الملابس، أو طريقة الكلام، أو طريقة تناوله للطعام، فضلاً عن أنها كانت تنام في غرفة منفصلة. طبعاً، لن نناقش تفاصيل علاقتهما الزوجية. فقط يمكن تخيل رجل يعاشر تمثلاً غير أن هذا التمثال يمكن أن يلكزه أو يتأفف منه خلال العلاقة الزوجية. ناهيك عن القول إن هذه العلاقة كانت تحدث مرات معدودة كل عام، وكان "مراد" ينتظرها على أحر من الجمر فيكاد يقيم الأفراح لها، على الرغم مما تورثه له من كآبة.

دخل "مراد" إلى منزله عصر اليوم التالي للحفلة، فوجد "شاهنده" تنهياً للخروج فبادرها سائلاً:

- "انتي خارجة؟"

أجابته في لا مبالاة:

- "أه، رايحة عند "أنوشكا" هنسهر شوية".

سألها:

- "وهترجي امتي؟"

نظرت له شذراً وهي تقول في تبرم:

- "من امتي بتسألني يعني؟"

نظر لها نظرة طويلة صامتة، ثم فتح باب مكتبه وهو يحمل الفلاش ميموري الذي وجده في جيب معطفه بعد أن انصرف من الحفلة البارحة. كان قد فتحه بعد عودته من الحفلة، ولكنه أراد أن يفتحه مرة أخرى ليتأكد أنه لم يكن يحلم. أدخل الفلاش ميموري في جانب اللابتوب وهو ينظر للشاشة في يأس. لقد كان يأمل أن يجد الملف قد اختفى، ولكن الملف اللعين بقي في موضعه! كان الفلاش ميموري يحتوي على ملف فيديو واحد من الحفلة، صوت وصورة. كان المشهد يوضح "شاهنده" و"يحيى" عندما كانا يقفان وحدهما بينما "مراد" يتحدث مع "عزيز". سمع صوت الباب يغلق خلف "شاهنده"، فرفع الصوت في الفيديو إلى أعلى درجة ليسمع الحوار المسجل بين "شاهنده" و"يحيى":

- "وحشتيني يا شوشو!"  
ردت في دلال مصطنع:
- "يا سلام! مش إنت اللي سافرت ولما رجعت ولا عبرتني ولا رديت على تليفوناتي؟"  
أجابها متملصاً:
- "والله غصب عني! الموضوع اتعرف عندي في الشغل، وجالي أوامر إني أعمل كده! انتي عارفة باباكي إيده طايلة، ولو كان وصله خبر، كان هيعمل مشاكل تضيع مستقبلي!"  
قالت وهي تعلم كذبه:
- "وما قتلش الكلام ده ليه؟"  
قال في نبرة حنان زائفة:
- "يعني، ما رضيتش أضايقك، قلت تفتكريني ندل أحسن ما تتعدي زي، وكفايه أتعذب أنا لوحدي!"  
قالت في لهجة عابثة:
- "لا يا شيخ؟ فاكرني هصدق الكلام ده؟"  
قال في لهجة أشد عبثاً:
- "طيب تعالي لي بكرة وأنا أخليكي تصدقي!"  
قالت في عناد كاذب:

- "مش هاجي!"

قال ساخراً:

- "وحياة "مراد" لا تيجي!"

قالت وقد اصطنعت الغضب:

- "كده تبقى مش عايزني أجي خالص!" ثم انفجرا

ضاحكين!

قال مؤكداً:

- "هستناكي الساعة 5"

قالت في لهجة مغرية:

- "قلت لك مش جاية"

أجابها وقد وصلته الرسالة كاملة:

- "خلاص، ما تجيش الساعة 5، ومش في شقة

المعادي!"

قالت:

- "خلاص، ما اتفقناش!" وضحكا مرة أخرى، وانتهى

الفيديو.

جلس "مراد" للحظات صامتاً، ثم فتح درجه وتناول

مسدسه، ثم خرج من الفيلا.

اتصل "مراد" بسائق زوجته ليسأله عما فعله:

- "أيوة يا عم "أحمد"، وصلت المدام فين؟ نزلت  
عند المول؟ مشيت وراها زي ما قلت لك ولا لا؟  
إنت عارف الخطف كتير اليومين دول! طيب اديني  
العنوان اللي هي فيه وامشي إنت!"
- أخذ "مراد" العنوان من السائق، وركب سيارته، ثم توجه  
الى المعادي. عندما وصل للعمارة، سأل البواب:
- "هو "يحيى" باشا في أنهي دور؟"  
أجابه البواب:
- "الدور الخامس يا أفندم، تحب أطلع معاك؟"  
- "لا شكراً!" ووضع في يد البواب عشرة جنيهات  
تلقاها الأخير وهو يلهث بالعرفان.
- صعد "مراد" الى شقة "يحيى"، وأخذ يحاول أن يتنصت،  
ولكنه لم يسمع أي شيء. فدق جرس الباب، وانتظر قليلاً،  
فدقه مرة أخرى، ففتح "يحيى" الباب وهو يرتدي "روب  
دي شامبر"، ونظر اليه مندهشاً:
- "دكتور "مراد"؟ إيه اللي جابك هنا؟"  
دفعه "مراد" جانباً وهو يخطو إلى داخل الشقة في هدوء:
- "مش هتقول لي اتفضل ولا إيه؟"  
قال "يحيى" في توتر:

- "فيه إيه يا "مراد"؟ الوقت مش مناسب للزيارة،  
وانت جاي من غير ميعاد، إنت نسيت نفسك ولا  
إيه؟"

قال مراد في هدوء:

- "لا يا "يحيى" باشا، ما نسيتش نفسي طبعاً، بس أنا  
كنت عايز أخد رأيك في موضوع مهم!"  
- "دلوقتي؟"، قالها "يحيى" في توتر وهو يلتفت  
ناحية غرفة النوم.

أجابه "مراد" بنفس الهدوء المستفز:

- "الموضوع ما يستحملش تأجيل، أنا أسف، يا ريت  
تقعد علشان نعرف نتكلم!"

جلس "يحيى" على مريض، بينما ظل "مراد" واقفاً، واستل  
مسدسه ووجهه "ليحيى" الذي صرخ فيه قائلاً:

- "إنت اتبهلت على كبر يا "مراد"؟ شيل الزفت ده  
من وشي بدل ما أخده منك وأقتلك بيه!!"

جذب "مراد" الأجزاء ليوضح مدى جديته، فصرخ فيه  
"يحيى" مرة أخرى:

- ""مراد"، ما توديش نفسك في داهية!!"

- "قدامي على الأوضة"، قالها "مراد" في هدوء وهو

يشير إليه بماسورة المسدس.

قام "يحيى" متوجهاً لغرفة النوم ليفتح بابها. نظر "مراد" بداخل الغرفة، فوجدها خالية، فتنفس "يحيى" الصعداء وهو يقول:

- "وبعدين؟"

نظر "مراد" في أرجاء الغرفة، حتى وقع نظره على دولاب الملابس وقال في لهجة امرأة:

- "افتح الدولاب!"

توجه "يحيى" إلى الدولاب في تردد ثم جذب ليفتحه، فوقع بصرهما على "شاهنده" وهي تلف نفسها بملاءة الفراش. وعلى الرغم أن هذا ما كان يتوقعه "مراد"، إلا أن المشهد صدمه مما جعل "يحيى" ينقض عليه، فيكيل له لكمة أطاحت به إلى الوراء، فسقط المسدس من يده للحظة كانت كافية ليفر "يحيى" من المكان كله وهو يلتقط ثيابه بيده. تمالك "مراد" نفسه، والتقط سلاحه، ولكنه لم يطارد "يحيى". بل أخذ ينظر "لشاهنده" دون أن يتكلم. قالت "شاهنده" في عصبية:

- "فيه إيه يا سيدي؟ بتبص لي كده ليه؟ إوعى تكون  
مصدوم ولا حاجة؟"  
ظل ينظر إليها دون أن ينطق.  
قالت بنفس العصبية:

- "هو إنت يعني ما كنتش عارف؟ من قبل ما نتجوز؟  
ليه عامل فيها إنك متفاجئ؟"  
أجابها في غيظ:

- "كنت فاكِر إنك هتتلمي بعد الجواز!"

- "ده على أساس إنك شايف إني كنت بموت في

دباديبك مثلاً؟ فوق لنفسك يا "مراد"، إنت عارف

كويس قوي إني اتجوزتك محلل للمجتمع مش أكثر

علشان أهلي يرتاحوا والناس ترتاح. أنا عمري ما

حببتك ولو إنت هتعمل نفسك مش عارف إني

كنت بخونك تبقى بتضحك على نفسك، اوعى

تكون فاكِر المسدس اللي في إيدك ده هيخوفني! أنا

عارفة كويس إنك جب.....!!!!" لم تكمل "شاهنده"

جملتها، فقد دوى صوت طلق ناري صنع ثقبًا في

منتصف جبهتها تفجرت منه الدماء الغزيرة لتغرق

أرض الغرفة، بينما تهاوت هي إلى الأرض وعلى



وجهها علامات تشي بعدم التصديق. أما "مراد"  
فقد انهار على ركبتيه بينما تعالت صفارات سيارات  
الشرطة مما يوحي بأنه قد تم إبلاغهم  
مسبقاً.

#### 4. المأزق

كان "يحيى السعدني" ممن التحقوا بكلية الشرطة عن طريق الرشوة. فقد كانت هناك تسعيرة للتوصية على أي متقدم تتوقف على الكلية شرطة أو عسكرية كما تتوقف على رتبة الموصي. وقد باع والده كل ما يملك ليتمكن ابنه من الالتحاق بالشرطة لأن "اللي له ظهر ما يتضربش على بطنه!"، هكذا كان والده يخبره دائما. ولأن الظهر في هذا الوقت كان ينحصر في القضاء والنيابة والشرطة، ولم يكن الجيش يملك سلطة واسعة في هذا الوقت، وغالبا ما كان المنتمي للجيش يتمتع لحد ما بحصانة، ولكنه لن يستطيع بسط هذه الحصانة لأبعد من ذلك. كان باب القضاء والنيابة موصدا لأن الداخل منه لا بد أن يحمل اسمه لقب قاضي أو وكيل نيابة وإلا لن يسمح له بالمرور. فلم يتبق من الأبواب إلا باب الداخلية، ولكن مفتاح الباب باهظ الثمن. واستطاع والد "يحيى" شراء المفتاح بعد جهد. وللإنصاف يجب أن نذكر أنه لو كانت اللجان والاختبارات عادلة لا وجود فيها للواسطة لنجح "يحيى" نجاح مبهر. كان "يحيى" يتميز منذ طفولته بذكاء حاد وبصيرة نفاذة وقدرة على تحليل المواقف والعثور على حلول للمشاكل التي

تواجهه. ناهيك عن تفوقه الرياضي، بالذات في الرماية. كما كان يتميز بشخصية صارمة بالنسبة لأقرانه، مما جعله المرشح المثالي للوظيفة. والحق يقال أن "يحيى" استثمر ما أنعم عليه به والده أفضل استثمار، وخلال أعوام قليلة تمكن من بناء سمعة قوية له في الوزارة، وكانت القيادات تعرفه بالاسم. وتمكن من الالتحاق بأمن الدولة واشتهر بقدرته على الحصول على الاعترافات بالتعذيب أو بدونه وتلفيق قضايا "ما تخرش الميه" كما كان يتندر به زملاؤه. ولأن "السلطة مفسدة، والسلطة المطلقة مفسدة مطلقة" فقد كان "يحيى" دائما يشعر بأنه مطلق القوة والسلطة، مما استتبع شعوره بوجود نيل أي شيء يريدّه وأنه لا شيء غير قابل للتحقيق ولا أحد يستطيع رفضه. غني عن القول هنا، أن هذا الشعور بالقوة المطلقة قاده دائما للشعور بأنه لا يمكن أن توجد امرأة لا ترغبه، أو أن توجد امرأة يمكن أن ترفضه. لذا اشتهرت مغامراته النسائية بين أقرانه، كما عرف عنه ميله للمتزوجات لأنهن أقل جلبا للمشاكل عندما يسأم منهن. ولم تسلم منه زوجات المعتقلين، فكان إن رأى واحدة منهن وأعجبته راودها عن نفسها، فإن لم تقبل، اتخذ زوجها وسيلة ضغط وتهديد.

طبعاً لم تجرؤ أي واحدة على التقدم بشكوى في حقه وزوجها تحت رحمته. وعلى الرغم من اللذة التي كان يشعر بها من انتصاره على أي امرأة بعد ان ينالها، كان سرعان ما يلفظها لشعوره بضاآلتها. لذا، كانت "شاهنده" تحتل مكانة خاصة في قلبه، فقد كان يشعر معها بالتكافؤ. هي لم تشعره أبداً أنه منتصر وهو لم يشعرها أبداً بالتفوق. كانت العلاقة بينهما في شد وجذب مما ساعد على توقدها الدائم. "فشاهنده" كانت بالنسبة له "البرنسيسة" كما كان يحب أن يطلق عليها مع أصدقائه دون الإفصاح عن هويتها طبعاً. كانت دائماً تذكره "بشويكار" في مسرحية "أنا فين وانتي فين"، وعندما يذكره أحدهم "يا بني إنت كنت لسه مع واحدة كل شيء كان أول امبارح!!" كان يجيبه "يا أخي ما تقدرش تفضل مع بنت قائد الطابية كل يوم! برضه بتحن "لصدفة بنت بعضشي"!!!". لذا، لم يستطع منع نفسه عنها عندما رآها في الحفلة.

لم يكن "يحيى" يصدق أنه نجى من الموت بهذه السهولة. فقد انطلق يعدو نحو مصعد البناية وهو يلهث، ويرتدي ملابس على عجل. كان مخه يعمل كالصاروخ ومئات الأسئلة تدور في رأسه: كيف عرف "مراد" بعلاقته

"شاهنده"؟ هل كان يشك فيها ويراقبها من قبل أن يلتقيا في الحفلة، أم كان يعلم بعلاقتها السابقة، وأدرك ما سيحدث بعد لقائهما في الحفلة؟ إذا لم يكن يراقبها فكيف عرف عنوان شقة المعادي؟ السؤال الأهم هو ماذا سيفعل "مراد" مع "شاهنده"؟ هل سيقتلها؟ هل سيطلقها؟ لم يكن يقلقه مصير "شاهنده" على الإطلاق، فهي لم تكن أكثر من امرأة يقضي معها وقت ممتع في الفراش. ما كان يقلقه بحق هو لو ارتكبت جريمة قتل في الشقة، هل سيتم ربطه بها؟ كان يعلم أن الشقة مؤجرة مفروش باسم وهمي من أيام عمله في أمن الدولة، ولكن البواب يعرفه جيدا، ويعرف اسمه الحقيقي ولكنه لم يلتق أبدا بأحد من الجيران، ولا بصاحب الشقة، وكانت كل التعاملات من خلال البواب. لذا كان لابد من ضمان سكوت البواب عن طريق التهيب. هذا في حالة حدوث جريمة في الشقة. "الله يخرب بيتك يا "مراد"! حبكت يا ابن المجنونة! انت مش عارف انت متجوز بنت مين؟ دول هيقطعوك حتت!" كان على يقين ان والد "شاهنده" لن يقتنع ان ابنته خائنة، ولن يكتفي بحبس "مراد" لو مس ابنته بسوء.

قابل البواب في طريقه الى الخارج، فرسم الصرامة على وجهه وبادره قائلاً:

- "عم "محمود"، عندك عيال؟"

أجابه البواب في امتنان:

- "عندي يا "يحيى" باشاء، الله يعزك"

سأله "يحيى" بنفس الصرامة:

- "عايز تشوفهم تاني؟"

- "فيه إيه يا بيه، أنا ما عملتش حاجة"، رد البواب مرتعشاً.

- "لو حد عرف اسمي وإن أنا اللي مؤجر الشقة مش

هتشوف عيالك تاني، اللي مؤجر الشقة هو الراجل

الي اسمه في العقد، فاهم؟"، قالها "يحيى" بصوت

جمد الدم في عروق الرجل.

أجابه البواب في اذعان:

- "فاهم يا بيه، فاهم"

هرع "يحيى" إلى سيارته، ومد يده في جيب سترته ليخرج

مفاتيحه، ثم تذكر انها في جيب السروال، وقبل أن ينزع يده

من جيب السترة، تعثرت يده بشيء التقطه ليفحصه في

تساؤل ليجد فلاش ميموري شبيه بما وجده "مراد" سابقاً.

نظر إليه لوهلة ثم وضعه في جيبه واستقل سيارته وفر هارباً إلى منزله.

كان أول ما فعله "يحيى" بعد أن وصل لشقته هو الاتصال بصديق له في قسم شرطة المعادي ليعرف ما حدث. ورغم توقعه لاحتمال قتل مراد "شاهنده"، إلا أنه كان يستبعده لمعرفته بطبيعة العلاقة بينهما، وتحرر "شاهنده". إذ كان على يقين أنه لم يكن الوحيد في حياتها، على الأقل خلال الفترة التي ابتعد فيها عنها. شكر صديقه على المعلومات وطلب منه موافاته إن أمكن بنتائج التحقيقات، خاصة أقوال "مراد" أمام النيابة، ثم جلس شارداً يفكر في العواقب المتوقعة لما حدث. استطاع ترتيب أفكاره ووضع الاحتمالات الآتية:

- "مراد" لن يفضح نفسه، وبالتالي لن يذكر اسمه في التحقيقات.

- "مراد" سيعترف بكل شيء، وفي هذه الحالة سينفي "يحيى" وجوده هناك، وعليه من الآن فبركة دليل نفي مناسب يثبت وجوده وقت الحادث في مكان آخر.

المشكلة الحقيقية ستكون في "شوكت" والد "شاهنده" الذي غالبا سيصدق "مراد" لمعرفته بماضيها مع "يحيى"، وسيحمل "يحيى" جزء من المسؤولية، وقد ينكل به مع "مراد". الحل الوحيد هو ضربة استباقية تقي "يحيى" غضبة "شوكت" بأي طريقة. تنهد في ارتياح عند وصوله لهذا القرار، ورفع هاتفه المحمول وأجرى عدة اتصالات لترتيب موعد مع "شوكت" ودليل تواجده في مكان آخر وقت الحادث.

كان "شوكت السنداوي" ينتمي لأسرة عريقة وبها العديد من الباشوات قبل الثورة. وعلى الرغم من تأميم العديد من ممتلكاتهم بعد الثورة، إلا أن ما تبقى منها ضمن لهم عيشا رغدا مدى الحياة. كما استطاع "شوكت" بفطنته وحسن إدارته للأموال أن ينمي هذه الثروة عن طريق الرشاوى والوسائط والتزوير إن احتاج الأمر. طبعاً احتاج "شوكت" لغطاء سياسي يؤمن ما حققه من نواب تغلب النظام، وإن نأى بنفسه عن المناصب أو مجلس الشعب ليتقي نبش النظام ورائه وأثر البقاء في الظل.

كانت "شاهنده" ابنة "شوكت" الوحيدة ومدلته الأثيرة. لم يكن "شوكت" يبالي بتصرفاتها في أوروبا، ولكنه كان



يراقبها بحرص بعد عودتها لمصر. كان يعلم جيدا أن بقائها في مصر كان ضد إرادتها وإرضاءً له فقط. لكنه كان يعلم أيضا أهمية الأمر للحفاظ على مكتسبات الأسرة. كان دائما يقول لها:

- "ما هو أنا لو عندي ولاد غيرك ما كانش همني! لكن ما فيش علشان كده لازم انتي اللي تشيلي المسئولية وإلا كل حاجة هتضيع!".

لذا، كان دائما ما يضعها تحت نظره، ويعلم بكل تحركاتها على قدر الإمكان، وكان يلفت نظرها بهدوء لأي تصرف يثير حفيظته أو يمكن أن يجلب عليهم القيل والقال. "شاهنده"، ظبطي نفسك اللي حصل الأسبوع اللي فات ما يحصلش تاني". بهذه الجملة ودون الخوض في أية تفاصيل، كان يلقي إليها بالأمر وهو يعلم أنها ستدعن. فهي موقنة بتوابع غضبته إن وقعت، وهي لم تعرف يوما سوى العيش المترف والنعيم المقيم. لذا كانت دائما تستجيب له، ثم تعود بعد حين عله يغفل عنها.

لذا، عندما وصل إليه أمر علاقتها "بيحي"، استدعاه إلى مكتبه، وقال له جملة واحدة: "شاهنده" لا يا "يحي"، ثم أشار له بالانصراف! ولم يرد "يحي"، فقد كان يعلم ما

يستطيع "شوكت" أن يفعله به، وأي دمار يمكن ان يحقق  
بمستقبله. موافقة "شوكت" على زواج "مراد" من  
"شاهنده"، لم تحتج فعلياً الى ضغط من الحزب، فهو كان  
يدرك حتمية زواجها لاكتمال مظهر سيدة الاعمال، ولكنه  
أيضا كان يخشى من اثاره اللغظ حول ابنته من أي زوج لا  
يستطيع التحكم به. لذا، عندما جاءه تأكيد بشكل غير  
مباشر ان "مراد" موافق ولن يعترض و "هو يطول ولا  
يحلم" مع ضمانات بانه ابن الحزب البار "ومش هيخرج  
عن طوعنا" بالإضافة لمركزه العلمي والادبي، لم يفكر كثيراً.  
وفي صلاة الجنازة، وقف "شوكت" والد "شاهنده" ويرتدي  
منظاراً اسود يخفي به عينيه اللتين كانتا تموجان بغضب  
مكتوم، ظهر جلياً في عدم قدرته على رد عزاء المعزين  
بالجمل المعتادة. فقط، وقف صامتاً، يمد يده بحركة آلية  
ليصافحهم، وهو محاط بحراسه الشخصيين. وصل اليه  
"يحيى"، وصافحه وهو يميل عليه ليهمس له:

- "البقية في حياتك يا باشا، المرحومة كانت عزيزة  
علينا كلنا".

نظر له "شوكت" نظرة خاوية، ولم يرد، وعندما حاول سحب يده، لم يتركها "يحيى"، بل اقترب منه أكثر وهو يهمس له مرة أخرى:

- "محتاجين نتكلم يا باشا، أنا ممكن أحكي لك كل اللي حصل للمرحومة".

نظر له "شوكت" نظرة نارية، ثم أشار لحراسه ليجدوا له مكاناً مناسباً، وليحضروا له "يحيى". دخلوا في سيارة "شوكت" الفارهة، وأشار للسائق لينزل من السيارة ويتعد عنها، وجلس أمام "يحيى" الذي بادره قائلاً:

- "حضرتك ماتعرفش المرحومة أثرت فيا...."
- "قصر يا "يحيى"! "قالها "شوكت" في صرامة.
- "الحقيقة، أنا قابلت "شاهنده" هانم مع "مراد" صدفة من يومين، وهي قالت لي إنها محتاجة تتكلم معايا، علشان عندها مشاكل كتير مع "مراد"، وأنها طلبت منه الطلاق، فهددها بالقتل. واضح إن طلبها ده خلاه يشك فيها، لأنه مشي وراها وجه عندي ورفع علينا السلاح، أنا حاولت أخده منه يا باشا علشان يهدى، واشرح له الموقف، بس مع الأسف، هو كان تائر جداً، ففضلت انسحب لأنني

حسيت إن وجودي ممكن يخلية يتهور. ما كنتش متوقع إنه ينفذ تهديده يا باشا، لو فكرت لجزء من الثانية أنه ممكن يعملها، كنت قتلتها بايديا دول!" قالها وهو يمثل دور المتأثر بما حدث، حتى ان عينيه ترقرتا بالدموع.

نظر له "شوكت" وهو يحاول ان يقرأ ما في ذهنه، فلقد كانت قصة "يحيى" مليئة بالثغرات، الهيئة التي وجدوا عليها جثة "شاهنده"، كيف تركه "مراد" ينصرف، كل هذا لا يتفق مع ما قصه عليه "يحيى". وكأن "يحيى" قرأ ما في ذهنه، بادره قائلاً:

- "أكيد يا باشا هو اللي قلع المرحومة هدومها بعد ما قتلها علشان يعرف يدافع عن نفسه، ويلاقي دافع للجريمة ينجيه من حبل المشنقة! على فكرة أنا كان ممكن ما أجيش لحضرتك خالص، وعندى شهود يقولوا إني كنت موجود معاهم وقت الحادثة، والشقة مش باسمي وحضرتك ما كنتش هتعرف حاجة، بس أنا ما خلصنيش وقلت لازم المجرم ياخذ جزاؤه!"

بدأ "شوكت" يميل لكلام "يحيى"، ربما لرغبته في عدم وصم ابنته بالخيانة، لذا فقد كان أكثر القصص التي يقبلها كأب، أن "مراد" قتل "شاهنده" حتى لا تنفصل عنه. قرأ "يحيى" هذا الاقتناع في وجه شوكت فألقى بالجزء الأخير من خطته:

- "طبعاً الكلام اللي أنا قلتَه لسعادتك ده لا النيابة هتصدقَه ولا حتى الناس هتصدقَه، وأنا عايز أحافظ على سمعتك يا باشا. أنا ممكن أجيب لواء شرطة يشهد إني كنت بتغدى معاه وقت الحادثة في التجمع، لكن ممكن يتقال ظباط وبيحابوا لبعض، هي هتمشي على الورق وفي المحكمة، لكن أنا شايف إن الحاجة اللي تقطع لسان الناس كلها، إنك تشهد إني كنت بتغدى معاك في ستة أكتوبر. كده ما حدش هيقدر يقول إن أبو المرحومة بيكذب وكله هيحط الجزمة في بقه! ولا إيه رأيك يا باشا؟"

نظر له "شوكت" وهو غير مصدق لما يطلبه منه "يحيى" ولكن بعد برهة من التفكير، بدا له أن هذا هو الحل الأمثل فعلا. وفور موافقته على هذا القرار تصاعد غضبه على

"مراد" الذي قتل ابنته ووضعها في هذا الموقف، وقرر أنه سينكل به، حتى لو أخذ حكماً بالاعدام!  
واصل "يحيى" كلامه قائلاً:

- "طبعاً يا باشا إحنا مش هنحتاج نعمل كده غير لو

"مراد" جاب سيرتي في الموضوع، بس يا ريت

سعادتك تقول لي على قرارك دلوقت، علشان

أعرف لو استدعوني أقول أنا كنت مع مين!"

أوماً له "شوكت" برأسه وهو يشير إليه بالانصراف،

فانصرف "يحيى" غير مصدق وهو يقول لنفسه: "كده

تمام، ممكن نرعي الموضوع ده ورا ضهرنا خلاص، شيل يا

"مراد!"

عاد "يحيى" إلى منزله وصب لنفسه كأساً من الخمر،

وأشعل سيجارة وهو جالس في استرخاء بعد ساعات التوتر

الماضية التي عاشها، ثم فجأة ومضت في ذهنه صورة

الفلان ميموري التي وجدها في جيبه. قام مسرعاً لغرفته

يفتش في ثيابه، حتى وجدها في جيب المعطف. أوصلها

باللابتوب الخاص به، فوجدتها تحتوي على عدد من الصور

الضوئية لمستندات، ما أن رآها حتى سقط قلبه بين

قدميه!

## 5. وثائق

كانت المستندات التي أمام "يحيى" عبارة عن مجموعة من تقارير الطب الشرعي الممهورة بتوقيع "عزيز رفعت". كل تقرير مفبرك، أمامه تقرير بالأسباب الأصلية للوفاة مع اسم الضابط المتعامل مع الحالة. كان نصيب "يحيى" من هذه التقارير 12 حالة. اثنا عشر إنساناً ماتوا على يديه وحده من فرط التعذيب. جميع الحالات تم تسجيلها رسمياً "هبوط حاد في الدورة الدموية". اثنا عشر أسرة تدمرت على يديه وحده، دون أدنى شعور بالذنب، على العكس، ربما كان يشعر بالفخر أنه أنقذ الوطن من واحد من الأعداء. باقي التقارير لضباط مختلفين، ولكن كان "يحيى" يحوز على نصيب الأسد. أخذ "يحيى" يفكر بعمق، من الواضح أن مصدر هذه المستندات هو "عزيز رفعت"، ولكن من الذي وضعها في جيبه؟ هل هو "عزيز" نفسه؟ هل يريد "عزيز" ان يبعث له برسالة انه يستطيع ان يدمره ليبترزه؟ إذا لم يكن "عزيز"، فلا بد أنه واحد ممن كانوا موجودين في الحفلة، ولكن من؟ من له مصلحة في تحذيره مما يخبئه "عزيز"؟ كعادته، جلس مغمض عينيه ليصل لقائمة

احتمالات معقولة ليستنتج التصرف الأمثل، وكان ما توصل إليه كالتالي:

- "عزيز" هو من وضع له المستندات ليبتره فيما بعد. في هذه الحالة لابد من التخلص من "عزيز".
- شخص آخر وضع له المستندات ليبتره بها. في هذه الحالة لابد من التخلص من "عزيز" والبحث عن الشخص الآخر والتخلص منه أيضاً.

كانت جميع الاحتمالات تقود إلى تصرف واحد صحيح، التخلص ممن يمتلك هذه المستندات سواء كان "عزيز" أو شخص آخر معه. كانت هذه المستندات في الوقت الحالي، وبعد ثورة يناير تعني شيئاً واحداً فقط، القضاء عليه تماماً، هو وكل الضباط الواردة أسمائهم في التقارير. إما عن طريق القضاء الذي يسعى جاهداً للتبرؤ من كل من ارتكب جرائم باسم النظام القديم، وإما عن طريق الانتقام من أسر الضحايا. لذا كان لابد من القضاء على هذه التقارير بأي ثمن: "الله يحرقك يا "عزيز"، كان يوم أسود يوم ما شفتك!" هكذا تتمم "يحيى" في غضب.



بدأ "يحيى" بوضع قائمة بأسماء الضباط الواردة أسمائهم في التقارير، وحصر الأسماء التي لا تزال في مواقعها. ثم بدأ في إجراء اتصالاته بهم وإخبارهم بما حدث:

- "عزيز رفعت" ماسكنا كلنا من رقبتنا! معاه ورق يدفنا كلنا بالحياة! لازم نخلص منه. اليومين دول ما فيش أسهل من تهمة التخابر مع الوضع اللي البلد فيه. أول ما يتحبس مش لازم يوصل النيابة. انتحار!". هكذا تم وضع الخطة، والتنفيذ في خلال 24 ساعة!

كانت نشأة "عزيز" إلى حد ما مشابهة لنشأة "مراد" من حيث العوز والحاجة والتطلع لمكانة أفضل. ولكن جبل "عزيز" على إرضاء شهواته بأي طريقة ممكنة بلا أي رادع أخلاقي. كانت نقطتا ضعفه الخمر والنساء، وما كانت النقود إلا وسيلة لتحقيق هاتين الشهوتين. لذا كانت له فضائح مع ممرضات في مستشفيات الصحة والوحدات وعاملات النظافة إبان التكليف. والواقع أنه من المدهش أن تجد شخص يشبه الخرتيت أو سيد قشطة ويتمتع بكل هذا النشاط والرغبة الجنسية، مما صعب عليه دائما إرضاء شهواته لرفض النساء له. حتى بعد زواجه من سيدة طيبة

من بلدته، لم يلتزم الطريق المستقيم، بل شعر بازدياد في تلبية حاجاته، ولجأ إلى فتيات الهوى إلى أن ضبطته زوجته مرة في منزل الزوجية. ولكنها لم تثر جلبه تذكر، بل التزمت الصمت تماما، واستدارت وغادرت المنزل دون أن تنبس ببنت شفة. وقد شعر بالامتنان لها على هذا الموقف فلم يعترض على أي طلب من طلباتها. وعلى الرغم من سمعته المشبوهة والتي كان من المفترض ألا تؤهله لمنصبه إلا أن ما كان يقدمه للداخلية من تقارير وفاة مفبركة، جعله المرشح الأمثل للمنصب. وقد كانت علاقته "بيحيى" قديمة ووطيدة، كان يتباهى بها على أنها علاقة صداقة، بينما كان "يحيى" ينظر لها على أنها علاقة مستخدم بخادمه! على الرغم من أن واقع الأمر يقول إن "العزیز" اليد العليا، ولكن ضعف الشخصية ونفوذ أمن الدولة جعل من "عزیز" بالفعل مجرد خادم للسلطة.

أصيب "عزیز" بالذهول عندما وجد ضباط من أمن الدولة يداهمون مسكنه، ومن بينهم ضباط بعرفهم جيدا وقدم لهم خدمات في السابق. هو لم يفهم شيئا سوى أنه مطلوب القبض عليه. لم ير ما تم دسه في مسكنه من أوراق، ولم يفهم لم يفتشون الشقة بهذا العنف، ولا لماذا تحفظوا على

أجهزة الكمبيوتر في مسكنه. وبعد أن تعرض لاستجواب تم فيه اتهامه بالتخابر مع دول أجنبية، وتلقي أموال من الخارج، أيقن أنه يعيش اسوأ كوابيسه! نفى "عزيز" كل التهم الموجهة إليه، نفى ملكيته لأي من الأوراق التي تم دسها له، ولكنه لدهشته الشديدة، لم يتعرض له أحد بأي نوع من أنواع التعذيب. وبعد أن قضى 9 ساعات في استجوابات لا طائل منها، تقرر حبسه لحين العرض على النيابة. وفي أثناء وجوده في زنزانته الانفرادية، فتح باب الزنزانة، ودخل عليه "يحيى" وهو يسير بخطوات وثيدة:

- "ازيك يا "عزيز"؟"

شعر "عزيز" كالغريق الذي ألقى إليه بطوق النجاة:

- ""يحيى" باشا! الحقني يا "يحيى" باشا، ملفقين لي

تهمة تخابر، عايزين يجيبوا لي إعدام! بعد كل اللي

عملته علشانهم! ده أنا عمري ما قلت لهم لا على

حاجة! أنا عملت إيه؟ ليه بيعملوا فيا كده؟"

الواقع أن إجابة هذا السؤال كانت تقتله فضولاً أكثر من

قلقه من المصير الذي ينتظره.

- "تؤ تؤ تؤ، ملفقين لك إيه يا راجل، إحنا برضه بتوع

الكلام ده؟"، أجابه "يحيى" في برود مدمر

للأعصاب "احنا شغلطنا إننا نحمي البلد من العملاء  
والجواسيس والمخربين!"

اتسعت عينا "عزيز" في هلع وهو يصرخ:

- "حتى إنت يا "يحيى" بتقول الكلام ده؟ بعد كل اللي  
عملته علشانك؟؟؟ لا بقى يكون في علمك أنا مش  
هضيع لوحدي، أنا ممكن اضيعكم كلكم معايا!! أنا  
عندي مستندات تو....."

قاطعه "يحيى" في انتصار:

- "أيوواااه، مستندات إيه بقى اللي عندك؟ هو ده اللي

أنا عايز أعرفه. شايلها ليه؟ وبعثها لي ليه؟"

- "بعثها لك؟؟ بعثلك إيه؟ وتفتكر هبعثها لك ليه؟؟"

المستندات دي أنا كنت بأمن بيها نفسي علشان لما

تنووا تبيعوني زي ما بتعملوا دلوقت ما بقاش رحت

فطيس لوحدي كده!! إيه بقى اللي يخليني أعرفك

إن أنا شايلها أصلا؟" أجابه "عزيز" مستنكراً.

صمت "يحيى" وهو يتفحص في وجه "عزيز". خبرته في

العمل أورثته قدرة لا غبار عليها في اكتشاف كذب من

يستجوبهم، وقد أنبأه حدسه أن "عزيز" يقول الحقيقة!

ولكن هذه الحقيقة تزيد من تعقيد الأمور،

إنها تعني ببساطة، أن هناك شخص آخر يمتلك نسخة من هذه المستندات، والأدهى والأمر أنه لا يدري من هو هذا الشخص!:

- "إنت حطتنا كلنا في موقف زي القطران بتصرفاتك الواطية دي! أهى المستندات دلوقت مع حد إحنا ما نعرفوش، ورقبتنا كلنا تحت سكينة ما نعرفش مين اللي ماسكها يا حمار! اشرب بقى يا "عزيز" الكلب!"، قالها واستدار منصرفا بينما "عزيز" يصرخ:

- "لو ما طلعتنيش يا "يحيى" هقول كل حاجة! انت سامعني؟ هقول كل حاجة!"

خرج "يحيى" وهو لا يعبأ لصراخه، فقد صدر حكم إعدام غير قابل للإلغاء أو التأجيل بحق "عزيز"، ولم يعد بإمكانه أن يؤذيههم. المشكلة الكبرى الآن في ذلك المجهول الذي أرسل له المستندات. واتجه تفكيره دون أن يدري إلى "ياسين عز الدين"، فلقد اتخذت الأحداث منحى خطر وبدأت كرة الثلج في التدحرج من ليلة الحفلة.

## 6. الشركاء

انصرف "طلعت" و"عادل" من الحفلة، وذهبا ليكملا سهرتهما في العوامة الخاصة "بعادل الملط". فقد كان الليل بالنسبة لهما في أوله على الرغم من أن الساعة قاربت على الثانية بعد منتصف الليل، إلا أن السهرة لا تكون قد اكتملت بالنسبة لهما إن لم يتعاطيا بعض المخدرات ويعاشرا بعض العاهرات. لذا فقد قام "عادل" بالاتصال ببعض العاهرات ودعاهن للعوامة لاستكمال السهرة.

كان المراقب عن بعد للعلاقة بين "عادل" و"طلعت" يظنهما بمثابة شقيقين. ولكن مع النظرة المتفحصة يمكن أن يكتشف أنهما لا يطيقان بعضهما البعض، وأنه لولا المصالح المشتركة لفتك أحدهما بالآخر. فلقد كان "عادل" يشعر دائما بأنه أفضل من "طلعت" وصاحب فضل عليه، فهو الذي عرفه طريق الكار وهو الذي عرض عليه أن يشاركه في تجارة الصنف، ثم في إنشاء شركة الاستيراد والتصدير، وكان يعتبر نفسه بحق العقل المدبر لكل العمليات التي أدت إلى ثرائهما السريع. أما "طلعت"، فقد كان يمقت "عادل" من أيام تعاطيه الأولى. فهو لا ينسى له أبدا كم كان يتلذذ بإذلاله إذا أراد التعاطي دون أن يمتلك

نقوداً. بالإضافة لشعوره الدائم بالعجز في التخطيط لأي عملية ناجحة، وتعهد "عادل" التسفيه من آراءه. لذا فإن "طلعت" لم يكن يتوانى عن اختلاس الأموال من الشركة أو من عمليات المخدرات، لا لحاجته لمزيد من الأموال ولكن لمجرد الشعور بالتفوق على "عادل".

- "إيه رأيك في كلام اللي اسمه ياسين ده يا عدولة؟"

- "والله الراجل بيتكلم كلام موزون يا "طلعت" وممكن نقلب من وراه قرشين حلوين! وبعدين الناس اللي كانت معانا كلها ناس نضيفة وشكلهم بيفهموا في البيزنس جامد! ده حتى "عزيز" الهباش، اللي ما كانش بيفوت حرز من غير ما يوصلح عليه كان شكله متمزج من كلامه قوي!"

قال "طلعت" مؤمناً على كلام "عادل":

- "على خيرة الله، خليك مع الكداب لحد باب الدار!"

في تلك اللحظة، رن هاتف المحمول الخاص "بعادل" فوضعه على أذنه: "ألو"، ثم صمت لمدة تجاوزت

الدقيقتين، قبل أن يغلق الهاتف وهو ينظر "طلعت" نظرة عجيبة.

- "إيه يا بني ده؟ هو الخط قطع ولا كنت بتسمع

أغنية ولا إيه؟" سأله "طلعت" متعجباً.

- "لا وانت الصادق يا "طلعت""، قالها وهو يتفحص

مزهرية في يده ويزن ثقلها: "كنت بسمع نكتة!"

سأله "طلعت" ساخراً:

- "كل دي نكتة؟ ما شفتكش ضحكت يعني؟"

- "أصلها نكتة بايخة!"، قالها "عادل" وهو يهوي

على رأسه بالمزهرية ليهشمها على رأسه، فتسيل

الدماء منه ويسقط مغشياً عليه!

أفاق "طلعت" ليجد نفسه مقيداً بالسلاسل إلى مقعد

في المخزن الخاص بالمخدرات التي يتاجر فيها هو

و"عادل". هذا المخزن تحديداً لا يعلم بمكانه سواهما. كان

"عادل" يقف أمامه وهو يدير له ظهره يعبث بشيء ما،

فصرخ فيه قائلاً:

- "إيه تهريج الزبالين ده يا زفت؟ فكني بدل ما أطلع

م \*\*\*\* اللي جابوك!"



التفت له "عادل" في هدوء، وهو يحمل في يده أسلاك عارية الطرف، موصولة بفيشة الكهرباء:

- "ده أنا اللي هخلي م\*\*\*\* أهلك دلوقت ينوروا ولا لمض الفرغ بتاعة أمك!"

صرخ "طلعت" في دعر:

- "إنت اتهبشت في مخك يا "عادل"؟؟؟؟"

- "لا يا روح أمك! اتهبشت في فلوسي! يا واد يا و\*\*!"

بعد ما جبتهك من الشارع وإنت حته ضريب ما تسواش تلاتة أبيض، تسرقني أنا؟ أنا؟ اسفوخس عليك واد و\*\*!"، قالها "عادل" وهو يقترب منه بالأسلاك ويلامسهما فيصدرا صوتاً وشرراً تقشعر له الأبدان.

توتر "طلعت" وهو يقول:

- "يا "عادل" دي أكيد وشاية وحد عايز يوقع بينا!"

- "ما أنا لو ما كنتش سمعت بودني كان ممكن أصدقك

يا و\*\*! لكن أنا سمعت بودني المكالمة اللي بينك وبين الواد البلطجي "عبده زلطة"! بقي كنت ناوي تخلص مني؟ وتلهف البضاعة والفلوس والشركة؟ ماشي! أنا هفضل أعبيك كهربا لحد ما تمشي تنور

في الشارع، يا إما تقول لي فلوسك مخبيها فين! وبعد ما تقول لي يمكن أرحمك وأخلص عليك وفتي بس لو تعبتني وشرف أفي لأفضل أعبيك كهرا حتى لو قريت بمكان الفلوس!" قالها "عادل" في غل وهو يقترب من "طلعت" وعلى وجهه نظرة شيطانية! أسقط في يد "طلعت" وهو يحاول أن يتوصل إلى الطريقة التي سمع بها "عادل" مكالمته مع "زلطة". فقد كان "طلعت" يخطط بالفعل للانقلاب على "عادل" والاستيلاء على كل شيء. لقد سئم تحكم الأخير فيه وقرر الاستقلال عنه. ولكنه كان على يقين أنه إذا فعل ذلك و"عادل" على قيد الحياة، فهو لن يجعله يحصل على مليم أحمر من نصيبه في الشركة أو في أموال المخدرات. كانت هذه المكالمة قد جرت بينهما أثناء حفلة "ياسين عز الدين" منذ ساعات قليلة، فكيف علم بها "عادل"؟ لقد كان يقف على مسافة بعيدة نسبياً وهو متأكد أنه لم يسمعه كما أن "عادل" لم يبد عليه أي تغيير إلا بعد أن استقبل المكالمة في العوامة. إذن فيجب... "اهاهاهاهاهاها"، صرخ "طلعت" وقد تشنجت عضلاته كلها عندما أوصل "عادل" الأسلاك بجسده

وتصاعد الألم لرأسه وتناثرت حبات العرق غزيرة على

وجهه وهو يلهث في شدة وينظر "لعادل" في تضرع:

- "أبوس إيدك يا "عادل"! ارحمني!"

قال "عادل" في تشف:

- "أرحمك؟ ده إنت ليلتك طين

النهاردة!"

## 7. الشبح

مثل "مراد" أمام النيابة واعترف بقتله لزوجته دفاعاً عن شرفه. فقد أمسك بها متلبسة في فراش رجل آخر. حكى عن الفيديو الذي وجده على الفلاش ميموري، ولكنه نفى علمه بالراسل. حكى عن علاقته "بيحي السعدني" وكيف عمل معه منذ أكثر من عشر سنوات، وكيف كان يقدم له المعلومات، وأنه هو من أوصى به ليصبح رئيساً للقسم ثم عميداً للكلية. أرسلت النيابة من يفتش منزل "مراد" بحثاً عن الفلاش ميموري الذي تركه موصولاً بجهاز اللابتوب، فلم يجدوا له أثراً. تم استدعاء "يحيي السعدني" الذي نفى كل الاتهامات جملة وتفصيلاً. أقر فقط بمعرفته "بمراد" كضابط اتصال لحفظ الأمن داخل الجامعة والإبلاغ عن العناصر المشبوهة أو عند توقع قيام مظاهرات أو إحداث شغب، وأنه انقطعت صلته به بعد تركه لوظيفته. كما نفى أي علاقة بزوجة المتهم، أو تواجده في الشقة محل الجريمة، وكانت الضرية القاضية عندما طلب شهادة والد القتيلة "شوكت السنداوي" الذي شهد بتواجد "يحيي" معه على الغداء في فيلته بمدينة السادس من أكتوبر وقت وقوع الجريمة، حيث انصرف قبيل إبلاغهم له بالحادث.

وعن سبب اللقاء، أقر "شوكت" أنه كان يريد الاستعانة  
"بيحيى" كمستشار أممي للمجموعة. وعن معرفته  
بأسباب التي قد تدفع "مراد" لقتل زوجته، أقر "شوكت"  
بأنه قد وضع في حسابها وديعة باسمها تبلغ 5 ملايين جنيه  
وليس لديها أولاد، مما يجعل "مراد" الوريث الوحيد. كما  
أضاف أنها كانت قد طلبت الطلاق من "مراد" الذي رفض  
وثار عليها ثورة عارمة وهددها بالقتل إن هي فكرت في تركه.  
وقبل أن ينصرف رمق "شوكت" "مراد" بنظرة متوعدة  
تحمل في طياتها الويل!

حاولت النيابة الاستدلال على بيانات صاحب الشقة  
المذكور في العقد، فتبين أن الاسم لشخص توفي منذ  
عامين، وكان فلاحا يقيم في الأرياف. وبعد استجواب البواب  
أقر بعدم تذكره للمؤجر، وأنه لم يراه يحضر للشقة بعد  
استئجارها، ونفى علمه تماما "بيحيى السعدني" وأقسم على  
ذلك أغلظ الأيمان.

هكذا أحكمت الحلقة حول رقبة "مراد" الذي انهار تماما  
وهو لا يدرك كيف انقلبت حياته وتدمرت في ظرف 24  
ساعة. ووجهت له النيابة تهمة القتل العمد مع سبق

الإصرار والترصد وأمرت بحبسه لحين تحويله لمحكمة الجنايات للمحاكمة.

وفي أثناء حبسه في انتظار محاكمته، لاحظ "مراد" أنه مراقب من قبل بعض المساجين، ثلاثة بالتحديد، كلما ذهب إلى مكان وجدهم يتبعونه، وكلما نظر إليهم رأهم يراقبونه. المكان الوحيد الذي لم يكن يراهم فيه، هو المرحاض أو زنزانته في المساء! كان يدرك جيداً أن "شوكت السنداوي" لن يترك الموضوع يمر هكذا، وأنه سيقتل قبل أن يصل إلى المحكمة، ولكنه لم يعرف ماذا يفعل! كان يشعر بندم شديد على ما فعل، كان يمكنه أن يطلق "شاهنده" أو حتى يساومها على سمعتها قبل أن يطلقها، ولكنه لم يدرك ما فعل إلا بعد أن ضاع كل شيء! كان يتعجب من وصول الشرطة بهذه السرعة خاصة في حالة الانفلات الأمني التي تعيشها البلاد. كان واثقاً أن هناك من أبلغ عنه الشرطة حتى قبل أن يقوم بقتل "شاهنده"! أعاده هذا الاحتمال لتساؤله حول شخصية مرسل الفيديو. الراسل بالتأكيد واحداً ممن كانوا موجودين بالحفلة. ولكن من؟

فتح باب الزنزانة في هذه اللحظة، وظهر واحداً من الحراس وهو يحمل هاتفاً محمولاً، سلمه إليه وهو يقول:

- "بقول لك إيه يا مسجون، ما ترغيش كثير علشان مش عايز أروح في داهية!"

نظر له "مراد" وهو لا يفهم، ولكنه تناول الهاتف منه:  
- "ألو؟"

- "مساء الخير يا دكتور!"، أجابه صوت مألوف متهلل عجز عن تحديد صاحبه.

- "مين معايا؟" سأله "مراد" في نبرة حذرة.

- "معقول يا دكتور "مراد" نسيت صوتي؟" أجابه الصوت في مرج.

ارتعش صوت "مراد" وهو يسأله:

- "إنت مين؟"، ويدعو في سره ألا تأتيه الإجابة التي يتوقعها!

- "كده هزعل منك يا دكتور! أنا "سيف"! "سيف الحديدي"!!" أجابه الصوت في سخرية.

ألقي "مراد" الهاتف على الأرض في فزع وهو يرتعد:  
- "مستحيل! مستحيل!"

تعالى الصوت من الهاتف:

- "الو! الو! دكتور "مراد"؟"
- التقط "مراد" الهاتف بيد مرتعشة من على الأرض وقال له:
- "بس إنت ميت!!!"
- "ميت إيه يا راجل هو فيه حد بيموت اليومين دول  
 عمر الشقي بقي! أنا قلت برضه ما يصحش أسيبك  
 تمشي من غير ما أعرفك مين اللي عمل فيك كده!  
 يعني مش معقول تروح وإنت محتار كده!" أعقبها  
 بضحكة ساخرة مجلجلة دوت في أذن "مراد"  
 فقضت على البقية الباقية على أعصابه.: "أنا سامع  
 فيه جرس على الويتينج، أكيد "شوكت" باشا عايز  
 يودعك! مع السلامة يا دكتور!"، ثم أغلق الخط.
- ظل "مراد" مذهولاً قبل أن يجيب اتصال "شوكت" الذي  
 بادره قائلاً:
- "كنت فاكر إني هسيبك بعد ما حرمتني من  
 "شاهنده" يا "مراد"؟ ولا فاكر إن القانون هو اللي  
 هيجيب لي حقي؟ عند الناس اللي زيي أنا القانون يا  
 "مراد"!"، ثم أغلق الخط.



نظر "مراد" في رعب إلى باب الزنانة وقد تعالى صوت  
خطوات تقترب منه. في هذه اللحظة كل ما تبادر لذهنه هو  
"سيف"!

## 8. صوت الماضي

كانت طفولة "طلعت" وشبابه مشوبة بالإحباطات عموماً. وهي مشوار يستحق أن يدرس في المدرسة للأطفال وتحت عبارة "ذاكر علشان ما يحصلكش زي "طلعت"! " كان ولد وحيد في وسط أربع بنات. وعلى الرغم من محاولة والديه تربيته تربية قوية تؤهله لتحمل مسئولية إخوته بعد عمر طويل إلا أنه ما انفك يصيبهم بالهم والكمند. بدأ الأمر مع "طلعت" بالهروب من المدرسة في المرحلة الابتدائية وتدخين السجائر مع رفاق السوء. تطور الأمر إلى سجائر البانجو في المرحلة الإعدادية، وكان نجاحه في المدرسة دائماً بدرجات تقترب من الرسوب عن طريق لجوؤه للغش في الامتحانات. انتهى به الحال للحشيش و"الترامادول" في المرحلة الثانوية التي رسب فيها عدة مرات بجدارة، انتهت بطرده من البيت وبدء تعاطيه البودرة وتوطد علاقته "بعادل" شريكه الحالي. انزلق "طلعت" لهاوية الإدمان وما أن بدأ ينصلح حاله مادياً عن طريق الإتجار في المخدرات حتى تلا ذلك الإحباط الذي أصابه من تبرؤ أسرته منه، حتى وإن تظاهر بعكس ذلك. لم يكذب يفيق من طرد أسرته له حتى أصابه إحباط زواج "زينة"

حب حياته وقد فضلت عليه أستاذ جامعي "بيقبض ملاليم!" كما كان يخبر "عادل". حتى "عادل" شريكه كان لا يطيقه بالرغم من أنهما يقضيان معاً أغلب اليوم ولا يكادا يفترقان. فهما يقومان بالتعاطي سوياً والسكر سوياً، وحتى الذهاب للشقق المشبوهة سوياً. عادة من يقومان بتلك الأنشطة معاً يجمعهما نوعاً من الألفة والود إن لم تكن الصداقة. ولكن "طلعت" كان يمقت "عادل" لحد الجنون. فهو لم ينس له يوماً كيف كان يذيقه الذل ألواناً عندما لم يكن يمتلك ثمن البودرة. بالإضافة إلى أن "طلعت" كان يرى نفسه العقل المدبر وسبب النعمة التي يرفلان بها.

في المقابل كان "عادل" يشعر بالمثل اتجاه "طلعت"، ويرى أنه "حتة واد شمام ما يسواش ثلاثة ملاليم!" غير أنه على الرغم من ذلك كان مقتنعاً بقدرات "طلعت" في التخطيط التي جمعت لهم أموالاً لا حصر لها. كان حقد "عادل" على "طلعت" ينبع من واقع أن "طلعت" "في الآخر ابن ناس"، له أصل وفصل كما يقولون. بينما "عادل" لقيط لا يعرف له أباً ولا أمماً مما أورثه شعوراً دائماً بالدونية. كان يرى أنه ضحية وأن والديه هما اللذان جنيا عليه، ونشأته في الشوارع هي التي قادته إلى تجارة المخدرات في آخر الأمر،

بعد التسول في الإشارات كمصير طبيعي أو كما كان يقول ساخرًا: "النهاية الطبيعية للحاجة الساقعة!" قبل ان يعقبها بضحكة وصوت شخير من أنفه بعد ما تتمكن منه البودرة. الواقع أن أساس الكره الكائن في "عادل" "طلعت" ليس الحسد أو الحقد كما قد يظن البعض، بل هو الغيظ! الغيظ أن شاباً في ظروف "طلعت" "ما صانث النعمة اليي هو فيها، عيلة وتعليم وإخوات وراح يضرب بودرة ابن الهبلة!" غيظ يصل لحد الجنون. تلك العلاقة الشاذة كانت تختفي تحت غطاء واهي اسمه المصلحة التي ما أن انتهت حتى تم هتك المستور.

كان "طلعت" انهار تماما من فرط الصعق بالكهرباء، حتى أنه شعر أنهم لو أوصلوا بعض اللمبات إلى أطراف شعره ستضيئ حياً بأكمله في ليلة حالكة السواد! بينما وقف "عادل" أمامه متلذذاً وهو يحمل الأسلاك عارية الأطراف.

- "يا "عادل" أنا قلت لك على كل حاجة، عايز مني إيه تاني؟" قالها "طلعت" في إنهاك.

- "ولا حاجة يا حيلتها، كلها 10 دقائق وأخذ الأوكيه انهم لقوا الفلوس وبعدين هطيرك من الدنيا كلها!" أجابه "عادل" في نشوة.

- "يا "عادل" إعتقني لوجه الله، انت فهمت الكلام غلط أنا ما كنتش هقتلك، أنا كنت هاخذ حقي وأخلع!" قالها "طلعت" في يأس.

- "وحياة أمك؟ كلامك مع "زلطة" ما لوش غير معنى واحد يا "طلعت"، كنت هتخلص عليا يا بن الم!\*\*!  
عموماً ما لوش عازة الكلام ده يا "طلعت"! خلصت خلاص ومات الكلام!" هكذا قطع "عادل" أي أمل "طلعت" بالنجاة.

بدا اليأس على ملامح "طلعت" وحاول عبثاً التخلص من قيوده، و"عادل" يراقبه في استمتاع وهو ينفث دخان سيجارة البانجو في الهواء في تلذذ عندما رن هاتفه المحمول فوضعه على أذنه وهو يسأل محدثه ظناً منه أنه من رجاله، يرف إليه خبر عثوره على أموال "طلعت":

- "خلصتوا؟"

أجابه الصوت من على الطرف الأخر:

- "متهيألي أنا كده ما قصرتش معاك في حاجة!"

سأله "عادل" في قلق:

- "إنت مين بالضبط؟ وعملت معايا كده ليه؟"

أجابه الصوت قائلاً:

- "مش هتفرق معاك في حاجة، هو طلب واحد"

سأله "عادل" في فهم:

- "عايز الحلاوة؟"

أجابه الصوت ضاحكاً:

- "لا يا "عدولة" حلاوتي أكلمه قبل ما تخلص عليه!"

نظر "عادل" "طلعت" لمدة ثانيتين ثم وضع الهاتف على أذنه وهو يقول:

- "فيه واحد عايزك!"

أنصت "طلعت" للصوت القادم من الهاتف:

- "ازيك يا "طلعت"، متهيألي مش هتعرف صوتي،

إحنا ما تكلمناش مع بعض قبل كده"

سأله "طلعت" في يأس:

- "إنت مين؟"

أجابه الصوت قائلاً:

- "أنا "سيف الحديدي" يا طلعت، افتكرتني؟"

- ""سيف"؟" قالها "طلعت" في توتر، "جوز ز..."

قاطعته الصوت قائلاً:

- "أيوأااه، جوز المرحومة "زينة" بنت عمك. كان نفسي أقولك سلم لي عليها يا "طلعت"، بس متهيألي إنت رايح حتة غير اللي هي فيها!"
- "إنت اللي عملت فيا كده يا ابن ال... " قالها "طلعت" في تلقائية قبل أن يتوقف لثانية.

بينما قاطعته ضحكة مجلجلة:

- "والله إنك ابن نكتة، هو اللي أنا عملته فيك يبجي إيه جنب اللي إنت عملته فيا؟ يارب بس يكون "عادل" قام معاك بالواجب! إوعى تكون قلت على طول كده على مكان الحاجة؟ أزعل منك والله! لازم تكون عافرت معاه شوية علشان يتقل عليك العيار. ياللا ما يجيش من بعد جمايك!"

هنا استدرك "طلعت" قائلاً:

- "بس "سيف" مات! إنت مش "سيف"؟"

قال الصوت في سخرية:

- "الموضوع ده مش هيفرق معاك كتير ولا هعرف أثبتهلوك الأهم إنك تتأكد إن اللي حصلك ده تار "زينة"! كان نفسي أكون أنا اللي بخلص عليك دلوقتي، بس النتيجة واحدة! مش قادر أقولك مع

السلامة! أقولك؟ في ستين داهية يا "طلعت"!،

وأغلق الخط.

ظل "طلعت" زائغ النظرات وبينما رن هاتف "عادل"

ليعطيه رجاله التمام بالعثور على كل أموال "طلعت".

وبينما كان عادل "يشحذ" السنجة لينحر عنق "طلعت"،

لم يدر في خلد هذا الأخير سوى اسم واحد أخذ يتردد بلا

توقف، "زينة"!



## 9. المزور

كان "عزيز" يسير في طرقات المشرحة الخاصة بإدارة الطب الشرعي التي يعمل بها. حاول إضاءة المصابيح ولكن الكهرباء كانت مقطوعة، أخذ ينادي على مساعده والممرض فلم يجبه أحد! سار في توتر على ضوء القمر الخافت المتسلل من النافذة فيضفي ظلالاً مرعبة على كل شيء وأي شيء. وصل لثلاجة المشرحة التي يتم الاحتفاظ فيهما بالجثث. فجأة أخذت أدراج الثلاجة تنفتح واحداً تلو الآخر، وبدأت الجثث القابعة بها تتحرك! كل الجثث كانت عليها أثار تعذيب من كدمات أو جروح أو عيون متورمة مما أضفى على مظهرها رعباً على رعب. بدأت الجثث في النهوض في بطاء بينما احتبست الصرخات في حلق "عزيز"، واستدار يحاول الهرب ولكن ساقاه خانتاه فنظر خلفه ليجد الجثث تتكالب عليه! ما زاده رعباً أنه تعرف على أصحاب الجثث! كلها تخص ضحايا تعذيب أجهزة النظام السابق التي فحصها وزور تقارير الوفاة الخاصة بها! كانت الجثث تنشد الانتقام. فصرخ "عزيز" بأعلى صوته مستغيثاً!

ليلتان مرتا على "عزيز رفعت" في زنزانتة لم يتمكن خلالهما من النوم. فقد ظل ذلك الكابوس يراوده كلما حاول النوم حتى أصبح مظهره مثيراً للشفقة بنظراته الزائغة وهو يكاد يغمى عليه من فرط الإرهاق. لذا عندما دخل عليه الجندي الذي يحرس زنزانتة بهاتف محمول لم يستوعب في بادئ الأمر ما يريد منه أن يفعله، ثم ما لبث أن تناوله منه ووضعه على أذنه ليجيب:

- "الو؟"

- "دكتور "عزيز"، إزيك طبعاً إنت مش هتفتكرني،

إحنا اتقابلنا مرة واحدة!" أجابه الصوت من على الطرف الأخر.

سأله "عزيز" في قلق:

- "مين معايا؟"

أجابه الصوت:

- "أنا "سيف"! "سيف الحديدي"! اوعى تكون

نسيتني؟!"

"سيف"؟ استرجع "عزيز" الاسم في ذهنه وهو مشوش الفكر بسبب عدم النوم. كان الاسم يبدو مألوفاً له ولكنه لم يستطع أن يتذكر:

- "معلش أنا مش فاكرا!"

قال الصوت ساخراً:

- "إخص عليك! كده أزعل منك! حاول تفتكر أرجوك

ما فيش وقت افتكر كده معايا، ده إنت عملت معايا

واجب جامد قوي! مرة معايا ومرة مع "زينة"

مرااتي!!"

ما أن سمع "عزيز" اسم "زينة" حتى شعر بتيار كهربائي

يسري في جسده! فقد كان تقرير "زينة" من أقسى التقارير

التي زورها وطناً على ضميره، إن كان له يوماً ضمير! وقد

ارتبط الاسمان معاً في ذاكرته لكنه لم يستطع تذكر اسم

"سيف" بمفرده:

- "إنت مستحيل تكون "سيف"، مستحيل،

مستحيل!!!"

قال الصوت بنبرة أشد سخرية من ذي قبل:

- "يا راجل عيب الكلام ده إنت راجل عالم وعارف إن

ما فيش حاجة اسمها مستحيل، إوعى تكون

بتصدق في العفاريت!"

قال "عزيز" في دعر:

- "بس إنت... إنت ميت! أنا شرحت جثتك بإيدي!!"

قال الصوت ضاحكاً:

- "شفت بقى إنك دكتور أي كلام؟ شرحت واحد  
غيري؟ ولا شرحتني وما متش؟ مش ده المهم  
دلوقتي، المهم، أنا كنت عايز أقولك إن اللي حصلك  
ده مش علشان اللي عملته فيا، أنا مسامحك، بس  
ما قدرش أسامحك في حق "زينة!"

سأله "عزيز" في يأس:

- "يعني إنت اللي عملت فيا كده؟"

قال الصوت في صرامة:

- "فيه حاجات ما بتسقطش بالتقادم يا دكتور! على  
فكرة حبايبك هيخلصوا عليك قبل العرض على  
النيابة، كان نفسي أقولك هتوحشني بس هبقى  
بكذب عليك!"

أغلق الخط وبقي "عزيز" يرتجف من فرط الرعب وهو  
يردد لنفسه: "مستحيل! مستحيل" ولا يتردد في ذهنه إلا  
اسما "سيف" و"زينة!"

## 10. الضابط

قاد "يحيى" سيارته حتى وصل لمقر شركات "ياسين عز الدين". استوقفه رجل الامن على باب الشركة:

- "حضرتك رايح فين؟"

- "أنا عقيد أمن دولة وعايز "ياسين" بيه في موضوع

مهم"، قالها "يحيى" في صرامة رجال الأمن

المعتادة.

طبعاً لم يجرؤ رجل الأمن على طلب الكارنيه، بل أفسح له

الطريق وعبر من بوابة كشف المعادن التي أصدرت صفيرا

متقطعاً فاستوقفه رجل أمن آخر فأجابه في صرامة:

- "عقيد أمن دولة!"

- "حضرتك الكارنيه أو تسيب السلاح وتاخده وانت

خارج" قالها فرد الأمن في صرامة مماثلة.

نظر له يحيى في غضب، ولكن كان واضحاً ان الرجل غير

قابل في التفاهم، وأي إصرار من ناحيته سيقابل بإصرار على

إبراز الكارنيه وهو موقوف عن العمل حالياً، لذا فقد انتزع

سلاحه على مضض وأخرج منه خزانة الطلقات، ثم جذب

أجزائه ليخرج الطلقة التي في الماسورة. ووضع كل هذا في

كيس تم غلقه والاحتفاظ به في الأمانات. اقتاده أحد رجال

الامن الى المصعد، وتوجه به الى مديرة مكتب "ياسين"،  
وسلمه لها هناك. سألته مديرة المكتب:

- "حضرتك عندك ميعاد مع "ياسين" بيه؟"

أجابها "يحيى" في لهجة رسمية:

- "لا ما فيش ميعاد، بس قولي له عقيد "يحيى

السعدني" عايز يقابلك ضروري"

دخلت مديرة المكتب لحجرة مكتب "ياسين"، بينما أخذ  
"يحيى" يتطلع بتمعن في كل ما حوله منذ دخوله مبنى  
الشركة وحتى وصل إلى هنا. شاهد كاميرات المراقبة وأجهزة  
مسح البصمات على أبواب غرف المكاتب المختلفة لتمنع  
دخول غير المصرح لهم. كان واثقاً أن "ياسين" يراه الآن على  
الشاشات الخاصة بكاميرات المراقبة. لذا فقد جلس في  
غيظ مكتوم حتى ظهرت مديرة المكتب مرة أخرى وقالت  
له:

- ""ياسين" بيه هيقابل حضرتك دلوقتي، اتفضل"

دخل "يحيى" إلى مكتب "ياسين" وهو لازال يتفحص في  
مداخل ومخارج المكتب ووسائل المراقبة والتأمين، حتى  
وجد "ياسين" جالسا خلف مكتبه، الذي نهض مرحباً:

- "أهلاً أهلاً" يحيى" باشا، ده إيه المفاجأة الحلوة دي؟ مش كنت تقول يا راجل علشان كنا نفرش لك الأرض ورد؟"

- "إزيك يا "ياسين" بيه؟ أنا آسف اني جاي من غير ميعاد" قالها "يحيى" في لهجة رسمية تماماً.  
قال ياسين:

- "عيب يا راجل ما تقولش كده! دي شركتك! وبعدين ده إحنا كلها كام يوم وهتبقى إنت المسئول عن تأمين كل ده!"

قال "يحيى" في لهجة أرادها جادة قدر الإمكان:  
- "الحقيقة أنا جاي لك لأن فيه اختراق رهيب للأمن الخاص بتاعك!"

رفع "ياسين" حاجبيه في دهشة وذعر و"يحيى" يراقبه في حذر:

- "الأمن الخاص بتاعي أنا؟ مستحيل!"  
قال "يحيى" وهو يحاول أن يبدو مقنعاً:

- "الحقيقة الاختراق ده حصل في الفيلا بتاعتك يوم الحفلة، فيه حد سجل حوارات خاصة بين الضيوف بتوعك وسريها، ده غير إن فيه حد حط

مستندات في جيب البالطو بتاعي، والموضوع بقي

له أبعاد أمنية وقانونية مش تمام!"

نظر له "ياسين" في دهشة وهو يقول:

- "إزاي الكلام ده؟ أنا هستدعي مدير أمن المجموعة

والمستشار القانوني حالا!"

قال "يحيى" في سرعة:

- "مافيش داعي!"

ولكن "ياسين" ضغط على زر الاستدعاء لمديرة المكتب

التي ظهرت أمامه بعد 13 ثانية بالضبط وطلب منها

استدعاء الاثنين اللذين ظهرا أمامه بعد دقيقتين ونصف

وشرح "ياسين" الموقف باقتضاب لهما. بادر المستشار

القانوني "يحيى" بسؤاله قائلا:

- "نقدر نعرف مين اللي تم تسجيل الحوارات ليهم،

وايه مضمون الحوارات دي وفحوى المستندات

اللي حضرتك قلت عليها؟"

صمت "يحيى" لبرهة، فقد كان يأمل أن يرتبك "ياسين"

فيلتقط هو طرف أي خيط يوصله لحقيقة ما حدث. ولكن

الحقيقة أن "ياسين" يبدو كمن لا يعلم أي شيء عما

يحدث. كما أن "يحيى" لن يستطيع الكشف أو الإجابة عن



أيا من هذه الاسئلة التي ستجرمه. فالنيابة لم تستطع الوصول للتسجيل الخاص به هو و"شاهنده"، ولو توصلوا إليه فهذا دليل يدينه ويثبت صدق "مراد". أما المستندات فهو لن يستطيع قطعاً إظهارها وإلا فمصيره الإعدام. قال "يحيى" بعد برهه من الصمت:

- "المعلومات دي سرية وما ينفعش إني أصرح بيها دلوقتي"

قال الرجل في عصبية:

- "مادام حضرتك ألقيت اتهام يبقى لازم نعرف أبعاده

إيه علشان نتخذ الاجراءات المناسبة!"

قال "يحيى" وهو يحاول الخروج من المأزق:

- "إنت فهمتني غلط، أنا مش بتهم حد، أنا جاي

أحذر "ياسين" بيه مش أكثر!"

قال مدير أمن المجموعة في إصرار:

- "برضه حضرتك لازم تقول لي التفاصيل علشان

أعرف أوصل لمصدر التسريب!"

- "ما أنا قلت لك المعلومات مش هقدر أقولها لك

دلوقتي!"، قالها "يحيى" في توتر عصبي.

تدخل "ياسين" في الحديث:

- "خلاص يا جماعة، متهيألي الموضوع انتهى لحين  
إشعار آخر، تقدروا تفضلوا دلوقتي!"  
انصرف الرجلان فالتفت "ياسين" الى "يحيى":
- "يعني يا "يحيى" بيه خضتنا وفي الآخر طلع  
الموضوع فشنك، ولا عايز تحسنا إننا  
محتاجينك؟ طيب يا سيدي إحنا محتاجينك من  
غير حاجة!"
- نظر له "يحيى" وهو يشعر بغيظ لا حدود له لأنه أظهره  
بمظهر الغبي:
- "عموماً يا "ياسين" بيه أنا حبيت أنبهك بس!"  
ونهض لينصرف.
- أمسك "ياسين" بذراعه وهو يقول:
- "إنت رايح فين؟ مش هنتكلم في مشروعنا ولا إيه؟"  
أزاح "يحيى" يد "ياسين" من على ذراعه وهو يقول في برود:
- "معلش أجي لك وقت تاني، نكون محددين ميعاد  
وأكون أنا فاضي عن كده شوية".
- قال "ياسين" في هدوء:
- "زي ما تحب".

وانصرف "يحيى" دون أن يحصل على أي شيء مما أتى  
لأجله. واستقر في نفسه أنه لابد من اقتحام مكتب  
"ياسين" بأي ثمن!

## 11. الخطة

جلس "ياسين" يفكر وحده بعد انصراف "يحيى" من المكتب: "واضح إن "يحيى" ابتدئ يربط كل اللي بيحصل بيا، وده مش في الخطة خالص، على الأقل مش في المرحلة الحالية! هو قدر يهرب مني مرتين لحد دلوقتي، بس دايمًا الخطة البديلة كانت بتبقى جاهزة. دلوقتي لازم نجهز الخطة الجديدة مع الوضع في الاعتبار لخطوات ارتجالية من ناحيته!" كان يحدث نفسه بصوت خافت ولكنه مسموع عندما اقتربت منه "نورين" سائلة:

- "مشاكل؟"

أجابها "ياسين" بابتسامة خافتة:

- "ما فيش حاجة مش متوقعة، بس "يحيى" هو اللي

فاضل وبيفلت من كل مصيدة بأعجوبة!"

قالت "نورين":

- "بس إنت كنت متوقع ده يا "ياسين"، ده متوقع

من واحد كان في أمن الدولة! ومتوقع برضه إنه

ممکن يكشف اللعبة كلها!"

- "انتي عندك حق، وأنا كنت متوقع ده علشان كده

كنت حاطط له هو تحديداً ثلاث خطط بديلة،

بس دلوقتي مضطر أضيف واحدة كمان بعد زيارته دي، لأني متوقع إن خطوته الجاية إنه هيحاول يدخل مكتبي علشان يلاقي أي حاجة تفهمه اللي بيحصل!"، قالها وهو يشمر عن ذراعه ليأخذ جرعة "الأنسولين" لعلاج من مرض السكر.

سألته في قلق:

- "تفتكر ممكن يقوم بخطوة طايشة زي دي؟"  
قال وهو يعيد كم قميصه كما كان بعد أن أخذ جرعة "الأنسولين":

- "هو لسه عنده زهوة إنه منصبه بيحميه، وده مع إنه صحيح لحد ما بفعل علاقاته وبفعل إن ما فيش حاجة اتغيرت فعلياً غير شوية مسميات، لكنه برضه زهوته دي مخلياه مش حاسب العواقب كويس! علشان كده مش عايز تشديد على وسائل التأمين، قد ما أنا عايز تشديد على وسائل المراقبة. يعني عايز كل حاجة تحصل تحت عينينا لكن من غير ما نخلي الموضوع صعب عليه."

أومأت برأسها موافقة وهي تقول:

- "فهمت! طيب وانت؟"

قال وهو يبتسم:

- "هكون في استقباله طبعاً!"

ظهر على ملامحها توتر شديد وهي تقول:

- ""ياسين"، "يحيى" مش سهل، والموضوع ممكن

يبقى خطراً!"

ابتسم "ياسين" في أسي:

- "موضوع الخطر مالوش أي اعتبار يا "نورين"، أنا

شايله من حساباتي خالص ومن زمان!"

لم تحاول "نورين" أن تناقشه فيما يعتزم فعله فهي تدرك جيداً أن أي كلمات أو تضرعات لن تثنيه عما اعتزم فعله. فقد كانت هذه الخطة هي الهدف الذي نذر حياته من أجل تحقيقه، الحلم الذي عاش من أجله.

كان والدا "نورين" قد هاجرا إلى كندا وهي لا تزال تحبو بعد أن ضاقت بهم سبل العيش في مصر. نشأت "نورين" في كنف والديها وعلى الرغم من وجودهم في بلد غربي، إلا أنهما حرصا اشد الحرص على تنشئة ابنتهما تنشئة قوية وعلى أسس دينية واجتماعية غارسين فيها كل القيم الأجنبية التي يطبقها العالم الغربي ولكن عن طريق ربط التطبيق بالدين دائما مع تنفيرها من كل سلوك شاذ عن

قيمتنا ومجتمعنا. فنشأت "نورين" نشأة صحية جعلتها من المتفوقات في دراستها وأنشطتها الرياضية حتى جاء اليوم الذي قابلت فيه "ياسين"، وعلى الرغم من فارق السن بينهما، إلا أنها شعرت أنه هدية السماء لها. فقد كان همها وهم والديها الأوحده هو هل ستقابل "نورين" من يستحقها في الغربة؟ ذلك الهاجس الدائم لأي مهاجر أو من يفكر في الهجرة وله بنات! أعجبت "نورين" "ياسين" منذ اللحظة الأولى وهام بها "ياسين" حباً على الرغم من جراحه النفسية التي ظن معها أنه لن يمكنه أبداً أن يحب. ولكن "نورين" غيرت نظرتة للدنيا تماماً، بل يمكن أن نقول إن حبه "لنورين" كان المحرك الأساسي والدافع للتحرك في خطته التي حتى لحظة لقائهما لم تعدو عن كونها حلم في خياله. وكان سبب ذلك أن "ياسين" كان يشعر أنه لن يكون لها كاملاً خالصاً ما لم ينفذ ما يحلم به. سيظل دائماً جزء من روحه وكيانه غائباً عنه.

تذكرت "نورين" لقائهما في كندا، وحصولة على درجة الماجستير في علم النفس، وهوأيته في دراسة تكنولوجيا الاتصالات على الرغم من أنها ليست في مجال تخصصه. تذكرت أوقاتها معا وضحكاتهما. تذكرت أول مرة فتح لها

قلبه وصارحها بقصته وما ينوي أن يفعله. وكيف ترك لها حرية اختيار أن تبقى معه وتساعده فيما يريد أن يفعل، أو أن ينفصلا ويستمر هو وحده في طريقه. لم تفكر "نورين" مرتين، فهي لم تعرف في حياتها رجلاً بأخلاق أو صلابة "ياسين"، ولم تشعر في حياتها بهذه المشاعر تجاه أي رجل آخر، لذا فقد كانت إجابتها فورية. تذكرت "نورين" مشاهد له معها ومع ابنه الذي تركه في كندا ليكمل خطته. تذكرت "نورين" كل هذا وهي تستمع إلى "ياسين"، وترقرقت الدموع في عينيها وقد انتابها هاجس أن هذه الخطة لن تكون لها سوى نهاية واحدة فقط، نهاية "ياسين"!



## 12. مراد السرساوي

تعالى وقع الخطوات المتوجهة نحو زنزانة "مراد" الذي ارتجف بشدة. لم يكن يرتجف خوفاً من مصيره المنتظر، بل ارتجف وهو يردد اسم "سيف الحديدي" لنفسه، وعادت به الذاكرة إلى أكثر من 20 عاماً مضت.

كان "سيف الحديدي" ابن لأسرة متوسطة، وكان أبواه على قدر عالي من الثقافة وإن لم يحوزا على أكثر من شهادتهما الجامعية، ولكن كثرة القراءة والاطلاع جعلتهما أعلى ثقافة من الحاصلين على الدكتوراه وقد ربيا ابنهما الوحيد على الخلق القويم وعدم خشية لومة لائم في الحق، واحترام النفس والغير، وعوداه على القراءة منذ الصغر. فنشأ في كنفهما نشأة سليمة ونفسية سوية وتفوق دراسي، وإن لم يستطع أن يكمل تفوقه رياضياً لإصابته بمرض السكري الذي أثر عليه رياضياً لكن لم ينقص من عزمه علمياً ودراسياً. وحصل "سيف" على مركز من المراكز المتقدمة في الثانوية العامة، والتحق بكلية الطب في إحدى الجامعات المرموقة. ولكنه وعلى الرغم من تفوقه ونظراً لأن والده ليس من أعضاء هيئة التدريس، فلم يتم تعيينه. ونظراً لإحساسه بالظلم وتربيته على قول الحق فقد قام بالتظلم

ولكن بلا جدوى. وكانت تلك أول صدمة يستقبلها في حياته أورثته شعوراً بالمرارة وغياب العدالة. ولكن درجاته المتقدمة وتفوقه أهله للالتحاق كعضو هيئة تدريس في نفس الكلية التي يعمل بها "مراد". اجتهد "سيف" وتمكن عن طريق السعي المجتهد من الحصول على منحة للدراسة بكندا، فما لبث أن سافر للحصول على الدكتوراه.

كان "مراد" عضواً من أعضاء هيئة التدريس القدامى بقسمه، وعلى وشك الترقى لمنصب رئيس القسم وكان واثقاً من فوزه بالمنصب، إلا أنه قبل التعيين بشهور قليلة عاد "سيف الحديدي" من كندا، بعد حصوله على الدكتوراه في تخصصه في جامعة من أعرق جامعات كندا، ونشر عدة أبحاث في دوريات علمية محترمة. ورفض أستاذه الكندي بشدة عودته إلى مصر بعد حصوله على الدكتوراه، وأصر على بقاءه للقيام بأبحاث ما بعد الدكتوراه. ونشر "سيف" المزيد من الأبحاث وحصل على براءة اختراع لبحثين منهما ليصبح هو وأستاذه من المليونيرات! وبدأ "سيف" في استثمار ما حصل عليه في كندا، بينما واصل أبحاثه في الجامعة. ثم قرر "سيف" فجأة أن يصحب زوجته "زينة" وابنه "طارق" ليعودا إلى مصر.

أصابت عودة "سيف" "مراد" بالرعب. فقد شعر أن كل ما عمل من أجله قاب قوسين أو أدنى من الفناء! فشخصية مثل شخصية "سيف"، لها كاريزما عادة ما تجدها فيمن عملوا بالخارج لفترات طويلة، فضلا عن إنجازاته وأبحاثه تجعله بلا منازع الخيار الأمثل لرئاسة القسم، وتؤهله للترقي في المناصب القيادية للجامعة، حتى أن "مراد" توقع حصوله على منصب وزير التعليم العالي بعد أعوام قليلة، وربما رئاسة الوزراء! لذا فقد كان لا بد من إزاحة "سيف" من الطريق بأية طريقة كانت. وهنا ومض في عقله اسم "يحيى السعدني".

كانت العلاقة بين "مراد" و"يحيى" علاقة قوية قائمة على المنفعة المتبادلة. فلقد كان "مراد" يقوم بدور "العصفورة" لأمن الدولة، بينما أمن "يحيى" "لمراد" إمكانية الترقى السريع في عمله وتذليل جميع العقبات التي يمكن أن تقف في طريقه. بدءاً من الحصول على درجات متفوقة في امتحانات الماجستير والدكتوراه، وحتى حل أي مشاكل تقابل "مراد" في عمله، أو مع زملاؤه أو رؤسائه. لذا فقد اتصل "مراد" "بيحيى" على الفور:

- ""يحيى" باشا، "مراد السرساوي" معاك يا باشا.  
كنت عايز أعزم سعادتك على العشا في البيت  
عندي، الوقت اللي يناسب سعادتك يا باشا.  
خلاص، في انتظار معاليك."

وعلى العشاء في منزل "مراد"، جلس "مراد" و"يحيى"  
و"شاهنده" يتناولان الطعام، بينما "يحيى" لا يخفي نظراته  
لشاهنده" التي ابتسمت في دلال. تخلل العشاء أحاديث  
كثيرة عامة، حتى طلب "مراد" من "شاهنده" الانصراف  
ليحدثا في أمور خاصة بالعمل، فانصرفت "شاهنده"  
متبرمة، معترضة.

- ""يحيى" باشا، سعادتك عارف إن أنا راجلكم في  
الكلية، وبعد شوية في الجامعة، وإن ما حدش  
بيخاف على مصلحة البلد قدي!"

نفث "يحيى" دخان السيجار الذي يشربه في تلذذ وعلى  
وجهه ابتسامة هادئة:

- "وبعدين؟"

قال "مراد" في بطاء:

- "أفتكر من مصلحتنا كلنا إني أبقى رئيس القسم،  
وأبقى بعد كده العميد؟"

- أجابه "يحيى" في هدوء حارق للأعصاب:
- "مش شرط يا "مراد"، أي حد هيبجي هيسمع الكلام غصب عنه".
- قال "مراد" مجادلًا:
- "يمكن، بس ممكن برضه ما يسمعش!"
- ضحك "يحيى" في سخرية وهو يقول:
- "هاهاهاها يبقى مش هيبجي من أصله يا "مراد"!"
- قال "مراد" محاولاً إقناعه:
- "طيب وليه وجع الدماغ، أنا طول عمري شغال معاكم وعارف نظامكم وأنتم مجرييني!"
- قال "يحيى" مؤمناً:
- "ده حقيقي!"
- شعر "مراد" أنه اقترب من هدفه:
- "طيب، اللي تعرفه أحسن من اللي ما تعرفوش!"
- قال "يحيى" متلاعباً به:
- "هات من الآخر يا "مراد"!"
- قال "مراد" في سرعة:

- "من الآخر "سيف الحديدي" فإكر نفسه في كندا،  
وبيحرض الطلبة يطلعوا مظاهرات وعايز يقلب  
نظام الحكم!"

- "خبط لزق كده؟"، قالها "يحيى" ساخرأ، "عموماً،  
لوجبت لي دليل واحد على أي حاجة من اللي إنت  
بتقوله ده، يبقى قول عليه يا رحمن يا رحيم!"  
تنهد "مراد" في ارتياح وقال:

- "اديني أسبوع!"

وبالفعل نصب "مراد" فخاً يتناسب مع شخصية "سيف"،  
فقد أوعز لأحد الطلاب أن يسأل "سيف" سؤالاً عن رأيه  
في السياسة المتبعة في البلد وقانون الطوارئ ونظام  
الاستفتاء على الرئاسة. وبالطبع فقد أجاب "سيف" وفقاً  
لما تعلمه في كندا، وأن التعليم ليس فقط هو المادة العلمية  
ولكن تعليم الطلبة منهجية التفكير:

- "شوفوا يا أولاد، لما حد فينا بيعمل بحث أو رسالة،  
بيقوم بعمل مراجعة لما تم نشره عن هذا الموضوع  
(Literature Review) واختيار أنجح النماذج  
لمقارنة النتائج. ده من أسس المنهج العلمي  
المتبعة. لو طبقنا ده على سؤالك، وراجعنا الدول

اللي بتطبق نظامنا السياسي والدول اللي بتطبق  
النظام الديمقراطي، وشفنا أنه دول هي اللي  
ناجحة ومتقدمة وشعوبها عايشين حياة سعيدة  
وآدمية هنعرف قد إيه نظامنا فاشل ولازم يتغير!"  
طبعاً تم تسجيل المحاضرة من قبل "مراد"، وتم تفريغ  
التسجيل واقتطاعه من السياق ليظهر "سيف" وكأنه  
يحرز الطلبة على الثورة ضد الدولة. وبالطبع شهد  
"مراد" ضد "سيف" في المحكمة.  
في هذه اللحظة تحديداً فتح باب زنزانه "مراد"، ودخل  
عليه ثلاثة من المساجين. وعثر على "مراد" في الزنزانه  
مشنوقاً، وقيدت الحادثة انتحاراً!

### 13. طلعت ذهني

اقترب "عادل" من "طلعت" وهو يحمل السنجة التي قام بشحذها حتى صارت حادة مثل شفرة الموسيقى. وأخذ جسد "طلعت" يرتجف في شدة وهو ينظر في الفضاء ويردد لنفسه "زينة"، "زينة" والذكريات تتدافع إلى رأسه.

كانت "زينة" هي حب طلعت الوحيد، برغم علاقاته التي لا حصر لها، تبقى "زينة" دائماً الحلم الذي لم يتحقق، والأمل الذي لن يناله أبداً. "زينة" هي ابنة عم "طلعت"، على قدر من الجمال الذي يضاهي "فينوس" إن وجدت، وقدر من الرقة والعدوبة يضاهي أميرات "ديزني" إن وجدن. وعلى قدر ما أحبها "طلعت" منذ طفولته، على قدر ما كرهته "زينة"! من النادر أن يعرف طفل أو طفلة بغض طفل آخر، ولكن تلك كانت هي مشاعر "زينة" تجاه "طلعت" بلا موارد. فعلى الرغم من محاولاته اليائسة لإبهارها، فقد كانت طبيعته القاسية تغلب عليه في طفولته، مما جعل فطرة "زينة" تشعر بالكره تجاهه. بدأ الأمر بضرب الأطفال الآخرين لا لشيء سوى فرض القوة والتباهي أمامها، لم يفلح هذا الأسلوب سوى في زيادة نفورها منه. وكانت الطامة الكبرى عندما أمسكت به يعذب



"قطة" الجيران ويوقد النار في ذيلها. هنا أدركت "زينة" أن "طلعت" ما هو إلا شيطان في صورة إنسان، أو هكذا صور لها خيالها. وقد تأكد لها ظنها مع انحدار "طلعت"، بداية من فشله في الدراسة وحتى ارتياده لطريق المخدرات. فقد أدركت عندها أن فطرتها كانت سليمة في شعورها نحوه. ولم يتعد الأمر السلامة المعتادة في التجمعات العائلية، على الرغم من محاولات "طلعت" المستميتة لفتح حوار معها والتقرب منها. حتى انتهت الأمور بتبرؤ عمها وأسرته كلها منه.

الأمر الذي لم تفهمه "زينة" أبداً، هو كيف تأتي لذهن "طلعت" أنه من الممكن ان تقبل به زوجاً؟ ألم يشعر كيف تمقته خلال كل هذه السنوات؟ ألم يستشف من معاملتها له شيئاً؟ طبعاً زيارته لمنزلهم انتهت بطرد والدها له، والطريف في الموضوع أنه كان ينظر لها كأنها مغلوبة على امرها، وتصمت فقط طاعة لوالدها. لم يدرك أنها رفضته من قبل حتى ان تسمع سؤال والدها لها. ثم قابلت "سيف"، الحلم الذي أصبح حقيقة، الحب الذي طالما حلمت بأن يقتحم عليها حياتها. طبيب، جامعي، وسيم، عائلة ميسورة، شخصية طاغية، مهذب، رقيق مع حزم،

متفتح مع شرقية في الطباع. أسرها "سيف" منذ لقائهما الأول، والحق يقال أنه أيضا أحبها منذ النظرة الأولى. فعلى الرغم من أن زواجهما تم بالطريقة التقليدية "جواز صالونات" كما يسمونه، إلا أن توافق الشخصيات والميول والأخلاق تبعه توافق الأرواح، وقد كان كل من يراهما يشعر بانهما خلقا لبعضهما البعض. سار كل شيء في سهولة ويسر. لم يكن هناك ما تخشاه "زينة" سوى ظهور "طلعت" ليفسد عليها فرحتها. لم تعرف كيف مرت ليلة الزفاف كالحلم، ولم يعكر صفوهما شيء. وبعد أسبوع واحد، سافرت مع "سيف" إلى كندا ليحصل على شهادة الدكتوراه.

كان زواج "زينة" من "سيف" هو وصول "طلعت" للهاوية في ادمانه. كان "طلعت" يعتزم قتل "سيف" بالفعل في ليلة الزفاف، لولا أن منعه "عادل" بالقوة. وعندما علم بسفرها مع زوجها، هاج وماج مثل الثور وأرغى وأزبد وتوعد "سيف" بالقتل يوم يعود الى مصر.

مر 15 عاماً على ذلك اليوم، وعاد "سيف" وأسرته الصغيرة، المكونة من زوجته "زينة"، وابنه "طارق". طبعاً، كانت الأمور قد هدأت نوعاً ما مع "طلعت"، وأصبح يرى

الموضوع من منظور مختلف. هو لا زال يحب "زينة" ويرغبها بشدة، ولكن لم يعد في استطاعته التصرف بنفس طيشه السابق. لقد أصبح له مال يخشى زواله، وتجارة يخشى كسادها، وأصبح يحسب كل شيء بمنطق الربح والخسارة.

ولكن، بدا له ان الحظ يبتسم له أخيراً، فها هو "سيف" يلقي جزاؤه العادل، من وجهة نظر "طلعت" طبعاً، ويسجن لمدة 15 عاماً. وها هي "زينة"، أصبحت كالأرملة وهي في عز شبابها، وورائها من المسؤوليات ما يئن من حمله الجبال. لم يكن "طلعت" يدرك شيئاً عن ثروة "سيف" المستثمرة في كندا والتي يمكن ان تجعل أسرته تحيا حياة الملوك. كل ما رآه "طلعت" في هذه اللحظة هو فرصة، فرصة ليستميل "زينة" عله يستطيع أن يحقق الآن ما عجز عنه في الماضي.

في ذلك اليوم المشئوم تعاطى كمية لا بأس بها من "الهيرووين" ليستجمع شجاعته، وذهب "طلعت" ليقابلها في منزلها. فتحت له "زينة" الباب ولم تعرفه للوهلة الأولى:

- "مين حضرتك؟"

قال وقلبه يخفق في قوة لمرآها:

- "إزيك يا "زينة"؟ أنا "طلعت" ابن عمك!  
نسييتيني؟"

- "'طلعت"؟!، وانقلبت ملامحها: "إيه اللي جابك  
هنا يا "طلعت"؟"

ارتبك قائلاً:

- "أنا سمعت باللي حصل، وحببت أطمئن عليك!  
احنا برضه اهل!"

قالت في لهجة من يريد انهاء الحديث:

- "متشكرة يا "طلعت"، ما نجيلكش في حاجة  
وحشة".

سألها في توسل:

- "مش هتقولي لي اتفضل؟ ده أنا أعرف إن بيت  
دكتور "سيف" بيت كرم!"

تنحت عن الباب ليمر وقبل أن تغلق الباب، ندهت بصوت  
عال:

- "يا "طارق"، تعالى فيه ضيوف!"

ثم التفتت له وهي تقول في اعتداد:

- "معلش، لازم راجل البيت يبقى موجود!"

ارتبك وهو يقول:

- "ربنا يخليه لك يا "زينة"!"

دخل "طارق" عليهم وصافح "طلعت" في وجوم، فقد كان  
حبس أبيه يلجم مشاعره.

- "طلعت ابن عمي يا "طارق"، "طارق" ابني يا  
"طلعت"، قالتها زينة في نفاذ صبر.

- "ما شاء الله يا "زينة" ده بقى راجل أهه!" قالها  
"طلعت" مجاملاً، ثم ساد صمت مطبق  
و"طلعت" يتطلع "لزينة"، ثم بادرها قائلاً "وانتي  
عامله إيه يا "زينة"؟"

- "الحمد لله على كل شيء"، ردت "زينة" في صلابة.

- "المحامي قال لك حاجة؟" سألتها في فضول.

- "لسه ما فيش جديد"، ردت في اقتضاب.

شعر "طلعت" بالإحراج فوجه حديثه "لطارق" وهو  
يتظاهر بالمرح:

- "وانت في سنة كام يا "طارق"؟"

أجاب "طارق":

- "انا دخلت تانية ثانوي".

قال "طلعت" في لهجة مداعبة محاولاً كسر الجليد الذي يغلف الموقف:

- "ما شاء الله، بس إنت بتتكلم عربي كويس، أنا كنت

خايف آجي ألاقيك بترطن بالكندي!"

أجابه "طارق" مجاملاً:

- "والدي كان مُصر إننا ما نتكلمش غير عربي في البيت

مع بعضنا، والإنجليزي والفرنساوي في تعاملاتنا مع

الناس الثانية بس".

قال "طلعت" وقد بدأ يأخذ راحته:

- "عمل طيب! وإلا ما كنتش هعرف أكلمك! أصل أنا

سبت المدرسة وأنا أصغر منك كده! بصراحة، ما

كانش ليا خلق على العلام يا "طارق"! الشهادات ما

بتأكلش عيش، أصل...."

- ""طارق"، أدخل كمل مذاكرتك!" قالتها "زينة" في

هدوء لتمنع "طلعت" من الاسترسال في دروس

الحياة التي كان قد بدأ في تلقينها "لطارق".

شعر "طلعت" بالحرَج وهو يقول "لطارق":

- "ربنا معاك يا "طارق"!"

ما أن تأكدت "زينة" من انصرافه حتى قالت:

- "إنت جاي ليه يا "طلعت"؟"، قالتها في لهجة صارمة.

- "جاي ليه؟ جاي أطمئن عليكي يا "زينة"! إحنا مش أهل؟ ولا نسيتي اللي بينا؟"، قالها "طلعت" وقد بدأ ذهنه يتشوش نتيجة لجرعة الهيروين التي تناولها قبل مجيئه.

قالت "زينة" وقد بدأت تتحول ملامحها إلى الشراسة:

- "بيننا؟ إنت اتجننت يا "طلعت"؟ إحنا عمر ما كان فيه حاجة بينا!!! ده إنت حتى ما فيش حاجة بينك وبين العيلة كلها!! إنت إزاي تسمح لنفسك تقول لي الكلام ده؟ إنت ناسي إن أنا ست متجوزة؟"

بدأت الدماء تحتشد في رأس "طلعت" وأصبحت الرؤية مشوشة وهو يقول:

- "بس إنتي عارفة إني بحبك وانتي ممكن تتطلقي من "سيف" علشان في السجن ونتج..."

- "اخرس خالص!!"، نطقها "زينة" وهي تحاول ألا يصل صوتها "لطارق": "إنت أكيد إتجننت!! اتفضل إطلع بره!!"

- "يا "زينة" أنا بحبك!!"، نهض "طلعت" وبدأ

يقترّب منها وهو يقول: "أنا طول عمري بحبك!"

ما حدث بعد ذلك حتى "طلعت" لا يذكره تماماً، كل ما يذكره أنه أفاق وقد سقطت "زينة" من الشرفة لتفتش الأرض تحت المبنى وقد بدأ الناس يتجمعون حولها! نظر "طلعت" حوله في ذهول ثم انصرف من الشقة مسرعاً، نزل من على السلم ثم دخل عيادة طبيب أسنان وقطع كشف باسم مستعار حتى انفضت الجلبة وانصرف إلى "عادل" شريكه وقص عليه كل شيء وهو يولول مثل النساء!

شهد "طارق" على ما حدث في تحقيقات النيابة، بينما شهد "عادل" بوجود "طلعت" معه أثناء وقوع الحادث، وأن زيارة "طلعت" كانت في اليوم السابق للحادثة. بينما أفاد تقرير الطبيب الشرعي أن جثة المتوفاة لم تظهر أي علامات اعتداء أو مقاومة، بينما وجد بها آثار لأدوية مضادة للاكتئاب ومهدئات بجرعات عالية!

دارت هذه الأفكار برأس "طلعت"، وقد احتشدت الدموع في عينيه وهو يردد في هستيرية:

- "تار زينة، تار زينة، تار ز..."،



ثم طارت رأسه أثر ضربة من السنجة التي في يد "عادل"  
الذي علت وجهه نظرة متوحشة وهو يقول في تلذذ:  
- "وتار "عادل" كمان يا ابن ال\*\*\*\*!"،

وما أن انتهى من عبارته حتى بلغ مسامعه صوت سيارات  
الشرطة وهي تقترب من المخزن فأسقط في يده، وألقى  
السنجة على الأرض وجرى في اتجاه باب المخزن ليتلقاه  
رجال الشرطة بالأحضان!

## 14. اقتحام

جلس "يحيى" يفكر في منزله في صمت تام وهو يحلل كل المعطيات التي لديه. كان لديه يقين تام أن كل الخيوط تتجمع لتقود إلى "ياسين عز الدين":

- بدأ كل شيء بعد حفلة "ياسين".
  - كل من يعرفهم من المجموعة التي حضرت حدثت لهم مصيبة حرفياً.
  - شخصية "ياسين" محاطة بغموض مثير للشك.
- لعن "يحيى" ثورة 25 يناير ومن ورائها! لو كان في منصبه، أو لو كانت الأمور مستقرة، لتمكن من معرفة كل شيء عن "ياسين" منذ مولده! ولكنها حالة الشلل التي أصابت كل أجهزة الدولة والتي منعت من معرفة أي شيء عنه. لم يعد امامه مفر من تنفيذ الخطة التي استقر عليها ذهنه. "لازم أدخل مكتب "ياسين"!". اخذ "يحيى" يراجع كل نظم الأمن التي رآها في شركة "ياسين"، وتلك المعلومات التي جمعها عن الشركة، بما فيها الرسم التخطيطي، مواعيد العمل وعدد حراس الأمن، ثم وضع خطته. كانت المشكلة الوحيدة هي كاميرات المراقبة، التي فشل في معرفة مكان الاحتفاظ بتسجيلاتها ولكنه لم يهتم بها كثيراً. فهو لا يهتم

أن يعلم "ياسين" باقتحام الشركة قدر ما يهتم بالأ يعرف هوية المقتحم. لذا، كان حل المعضلة يتلخص في إخفاؤه لوجهه بقناع والتأكد من أنه سيتولى أمر كل الحراس الموجودين بالمبنى في هذا الوقت، فلن يكون هناك من يراقب بث الكاميرات فيتخذ خطوات غير متوقعة.

سار كل شيء كما خطط له "يحيى" عطل جهاز الإنذار الرئيسي ثم دلف الى مبنى الشركة من خلال باب تفريغ الصناديق الواردة للشركة. تواري عن الانظار، ثم انتظر مرور كل حارس على حدة ليصعقه بالصاعق الكهربائي، ثم يقيده ويكمنه ويضعه في دورة مياه. حتى انتهى من الحراس الاربعة. "والله يا "يحيى" الدهن في العتاق! كنت فاكّر نفسي كبرت على الكلام ده!" همس بها لنفسه ساخراً ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه، ان ما فعله ليس بالشيء الصعب. وصل "يحيى" إلى غرفة "ياسين" فعالج باب الغرفة ودلف إليها ليجد "ياسين" جالساً إلى مكتبه، فتراجع مذهولاً ثم تمالك نفسه وهو يصوب إليه مسدسه فبادره "ياسين" ساخراً:

- "إيه ده؟ إنت جاي تقتلني ولا إيه؟ على فكرة أنا

شايفك من ساعة ما وقفت السيستم يا "يحيى"

باشا، وكنت متوقع إنك هتيجي!"

خفض "يحيى" سلاحه، ووقف صامتاً. لقد كان ينوي

التظاهر بأنه لص عادي حتى يتمكن من الانصراف دون

كشف شخصيته ولكن من الوضح أن "ياسين" أذكى مما

توقع. لذا فقد نزع قناعه وقال:

- "ما كنتش متوقع إنك هنا!"

- "أنا موجود بالصدفة براجع شوية أوراق بس جهاز

الإنذار اللي عندنا حديث شوية، لو وقف لأي سبب

بيديني إنذار على الموبايل على طول. ده غير إن

الكاميرات اللي بستعملها مش بتسجل بس هنا، لا

بتسجل مباشرة على "سيرفر" زي "الاي كلاود"

كده على النت علشان تفضل محفوظة على طول

واللي داخل ما يقدرش لا يمسحها ولا يبوظها!"

أجابه "ياسين" بابتسامة هادئة وهو يواصل:

"علشان كده أنا شايفك من ساعة ما دخلت الشركة

والصراحة أنا معجب إنك في سنك ده ولياقتك

مرتفعة كده!"

- "ما سألتنيش يعني أنا هنا ليه؟" قالها "يحيى" في هدوء.

- "مش محتاج أسألك يا "يحيى" باشا! إنت طبعا جاي تشوف وتختبر نظام الأمن عندنا!" قالها "ياسين" في هدوء مشوب بالسخرية وكأنه يعطيه فرصة وجود مهرب من هذا الموقف.

ولكن "يحيى" فاجأه وهو يقول:

- "لا! أنا جاي لأني محتاج إجابة لسؤال مهم! إنت مين؟"

ابتسم "ياسين" ساخراً:

- "أنا "ياسين عز الدين"! تاخذ البطاقة تشوفها؟"

- "البطايق مافيش أسهل من ضربها دي شغلتني!" قالها "يحيى" في سخرية.

- "طيب أعمل إيه علشان ترتاح؟" سأله "ياسين" في سخرية مماثلة.

- "بسيطة أنا كنت جاي أخذ أي حاجة عليها بصماتك، بما إنك هنا والكلام بقى على المكشوف ياريت أخذ بصماتك علشان أطمئن!" قالها "يحيى" ليقطع المراوغة بينهما.

- "وإذا رفضت؟"، سأله "ياسين" مبتسماً.  
 أجابه "يحيى" في انتصار:
- "ولا حاجة كده يبقى ما فيش مشروع بينا، وهطلع على النائب العام وهبلغ عنك إنك جاسوس وهما بقى يجيبوا أصلك وفصلك وشوشرة مالهاش لازمة!"
- "لا وعلى إيه؟!"، أجابه "ياسين" ضاحكاً وهو يمد له يديه: "عايز فصيلة دمي بالمرة؟"  
 برقت عينا "يحيى" وهو يقول:
- "تصدق فكرة برضه!"، ومد يده وانتزع خصلة من شعر "ياسين" في قوة "مش هتخسر خالص!"  
 تأوه "ياسين" في ألم عندما انتزع شعيراته وهو يقول:
- "قولي يا "يحيى" باشا، إنت كنت بتتعامل بالشك ده مع مراتك؟"
- "أمال تفتكر هي طلبت الطلاق ليه؟"، أجابه "يحيى" ساخراً.
- "عموماً طبيعتك دي هي اللي مخلياك أنسب واحد للمشروع بتاعنا! تاخد سيجار؟" وناولته سيجاراً

فاخراً وهو يقول: "ده بيجيلي من "هافانا"  
بالطيارة!"

تشمم "يحيى" السيجار تحت أنفه وهو يقول:

"باين من ريحته! خليه، هشربه يوم ما نمضي العقد!"

ثم صمت لحظة ثم تابع: "أو ألاقي إجابة لسؤالي!"

ثم استدار منصرفاً تاركاً "ياسين" وهو يتابعه ببصره وقد

ارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة!

## 15. عزيز رفعت

اقترب وقع الأقدام من زنزانة "عزيز رفعت" وهو يقف مذهولاً في وسطها وقد سرح بذكرياته في الأسماء التي سمعها من محدثه.

كان أول لقاء له "بسيف الحديدي" يعود لعشرين عاما مضت عندما تم تحويل "سيف" بناءً على طلب محاميه إلى الطب الشرعي لتحديد تعرضه لأي نوع من أنواع التعذيب. طبعاً، كان تقرير "عزيز" ينفي أية إصابات ناتجة عن التعذيب بالمتهم، وأن كل الإصابات الموجودة قد أحدثها المتهم بنفسه ليورط ضباط أمن الدولة.

كان "سيف" مجهداً منهكاً من شدة ما تعرض له عندما رآه "عزيز" للمرة الأولى. حاول "سيف" مبادلتة الحديث:

- "حضرتك أنا طبيب، دكتور في الجامعة"
- "إنت هتصاحبني ولا إيه؟"، أجابه "عزيز" في جفاء: "إنت هنا متهم تكشف وإنت ساكت!"

قال "سيف" في أسي:

- "بس أنا عايز أقول على اللي عملوه فيا!"

قال "عزيز" في سخرية:



- "عملوا فيك إيه؟ أنا شايف إن كل اللي فيك ده إنت  
اللي عملته في نفسك! بطلوا افترا بقى على الناس  
اللي بتحمي البلد!"

- "بتقول إيه؟؟؟"، قالها "سيف" وهو لا يصدق  
أذنيه!

- "قلت لك اخرس!!" قالها "عزيز" في قسوة.  
أسفر عن تقرير "عزيز"، نفي الإكراه عن اعترافات "سيف"،  
أو أنها تمت تحت وطأة التعذيب الذي تعرض له، مما  
أضعف موقفه أمام المحكمة.

انتقلت ذكريات "عزيز" لمقابلته "بزينة" بعد هذه الواقعة  
بشهر على الأكثر، أو لنكون أكثر دقة على لقاءه بجثتها! كان  
"عزيز" هو الطبيب الشرعي الذي تولى فحص جثة "زينة"  
بناء على طلبه. تم هذا طبعاً بعد لقاءه "بطلعت ذهني"  
و"عادل الملط"!

- "يا دكتور "عزيز" إحنا تحت أمرك في كل اللي  
تطلبه، وإنت عارف ده مش أول تعامل بيننا!" قالها  
"عادل" وهو يفاوض "عزيز" ليكتب تقريراً لا يزعج  
فيه باسم "طلعت".

- "أنا تحت أمرك يا "عادل" بيه، بس إنت عارف دي فيها إعدام! والموضوع ده هيكلفكم كتير!" قالها "عزيز" وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء.  
اندفع "طلعت" قائلاً:

- "أنا تحت أمرك يا دكتور! بس أنا ما فيش أي دليل علياً أصلاً وكلمة "عادل" قدام كلمة ابنها! ده حتى ما كانش موجود لما هي وقعت!"

- "أه، بس أنا سمعت إن فيه حاجات تدل عليك تحت ضوافرها، ده غير بصماتك اللي في كل حته!"  
طبعاً، لم يكن ما يقوله "عزيز" صحيحاً، أو على الأقل لم يكن تم اثباته بعد، ولكنه كان "يبلف" لرفع السعر.

انهار "طلعت" بينما أخذ "عادل" يجاري "عزيز":

- "ماهو البركة فيك بقى يا دكتور، أمال احنا جايبين لك ليه؟"

صمت "عزيز" ليتظاهر بخطورة الموقف ثم قال:

- "هاخد خمسين ألف جنيه، وتقول في التحقيق إنك كنت هناك اليوم اللي قبله علشان مش معقول ابنها هيتبلى عليك يعني، لكن ممكن يكون متلخبط

من الصدمة وكمان ده سبب بصماتك اللي لقوها  
هناك وكمان تشهد إنها ما كانتش على طبيعتها، زي  
ماتكون واخدة مهدئات!"

- "اتفقنا يا دكتور، المبلغ هيكون عندك بالليل"،  
قالها "عادل" وهو ييرم الصفقة.

وتم كل شيء كما خطط له "عزيز"، وتم تسجيل وفاة  
"زينة" على أنه انتحار، وساعد على ذلك الظروف  
المحيطة بها، سجن زوجها، والعقاقير التي تم دسها على  
التقرير، مع شهادة "عادل" و"طلعت"، وأغلقت القضية  
على ذلك.

اندفع إلى الزنزانة في هذه اللحظة اثنان من المساجين  
وكمموا فمه وكان آخر ما يفكر فيه "عزيز" وهو يلفظ  
أنفاسه الأخيرة هو أنه لم يعرف أن "زينة" هي زوجة  
"سيف" الذي قابله من قبل إلا بعد حادثة "زينة"  
بشهرين، عندما كان يطالع ملف خاص بإحدى السجناء  
ليفحص جثته، وكان اسم السجين "سيف"، دكتور "سيف"  
الحديدي!! وتم إصدار تقرير بأن سبب وفاة عزيز هو  
هبوط حاد في الدورة الدموية!!

## 16. سيف الحديدي

جلس "يحيى" ينظر لهاتفه في قلق، فبعد أن سلم البصمات وعينة الشعر التي حصل عليها من "ياسين" إلى أحد أصدقائه، لم يصبح أمامه سوى انتظار النتائج. ولكنه أخذ يفكر فيما حدث ويحلله بعمق. من الواضح أن "ياسين" كان في انتظاره تحديداً، وأنه كان يتوقع قدومه. ومن الواضح أيضاً أنه تم تسجيل افتتاحه للمكتب بالفيديو وعلى الرغم من ذلك لم يستخدم "ياسين" ذلك للضغط عليه بأي شكل، على العكس لقد وافق على كل ما طلبه "يحيى"! لم يجد "يحيى" إلا تفسيرين اثنين:

- "ياسين" صادق فيما عرضه عليه، ولكنه يتباهى بإمكانياته وذكائه.

- "ياسين" لديه هدف خفي لم يفصح عنه بعد، وهذا الهدف مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحقيقة شخصيته.

كان "يحيى" بطبيعته المتشككة، يستبعد تماماً التفسير الأول وفي نفس الوقت التفسير الثاني لم يصل به للإجابة التي يندشدها. قطع رنين الهاتف أفكاره، فالتقطه وضغط زر قبول المكالمة. لم يسمع من محدثه سوى جملة واحدة:

- ""الدي ان ايه" غالباً، والبصمات لنفس الشخص،

"سيف الحديدي"!"

أغلق "يحيى" الهاتف وهو يشعر بغضب لا مثيل له! لقد تم خداعه كما يتم خداع طفل في ثانوي. وتدفتت الذكريات على عقله مثل الطوفان. "سيف الحديدي"، "مراد السرساوي"، تلفيق القضية لإزاحة "سيف" من أجل "مراد".

أرسل "مراد" التسجيل الذي سجله "سيف" في المحاضرة "ليحيى" الذي كان من الممكن أن يجعل الموضوع يقتصر على استدعاء "سيف" ولفت انتباهه لعدم تكرار هذا الأمر لكن تم تحويل الموضوع لقضية أمن دولة والتحريض لقلب نظام الحكم. وتم استصدار إذن نيابة للتفتيش. وداهمت القوات منزل "سيف" بعد منتصف الليل لتترك الأثر المطلوب، وأقتيد "سيف" وقد تم وضع عصابة على عينيه إلى سيارة الشرطة وسط بكاء زوجته، وابنه ذو الخامسة عشر ربيعاً.

وفي مقر أمن الدولة، تولى "يحيى" التحقيق دون أن تنتزع العصابة من على أعين "سيف".

- "إنت متهم بتحريض الطلبة على العنف والتظاهر  
وقلب نظام الحكم"، قالها "يحيى" في برود شديد.
- "هو حضرتك متأكد انكم مش غلطانين في الاسم؟"  
سأله "سيف" في قلق وتوتر.
- ابتسم "يحيى" في سخرية:
- "دكتور "سيف إبراهيم حسين الحديدي"، أستاذ  
دكتور، قسم.....، كلية الطب، جامعة.....،  
مضبوط؟"
- تلقت "سيف" برأسه يمينة ويسارا:
- "مضبوط، بس حضرتك أنا مش عارف إنتم  
بتتكلموا عن إيه!"
- "بص يا "سيف"، قدامك حل من اتنين، يا تعترف  
وتقول لي أسماء شركائك، يا إما هسلمك للمخبرين  
اللي في الأوضة اللي جنبنا دي". واصل "يحيى"  
الكلام في برود، بينما كان يمسك بمبرد أظافر يقلم  
به أظفاره في عناية دون أن ينظر إلى "سيف".
- استمع "سيف" إلى الصراخ الصادر من الغرفة المجاورة ثم  
قال في توتر:
- "شركائي؟ أنا مش فاهم حضرتك بتتكلم عن إيه؟"

قال "يحيى" في لهجة مشفقة:

- "سيف، إنت صعبان عليا التيران اللي في الأوضة  
التانية مش طبيين زي كده، والموضوع مش  
هيقتصر على التلطيش والكهرباء! فيه حاجات  
تانية إنت ممكن تكون ما سمعتش عنها وما  
تتخيلهاش! صدقني اعترف أفضل وأسلم".  
لم يعرف سيف ماذا يفعل ولا ماذا يقول! هل يزوج بأسماء  
مجهولة ويتحمل وزر الظلم الذي سيقع عليهم؟ هل يبقى  
على موقفه وليكن ما يكون؟:

- "أنا ما عنديش حاجة أقولها!"

قال "يحيى" وهو يبتسم في تشف، لقد كان يرغب في هذه  
الإجابة ليمارس مع "سيف" بعضاً من ساديته:  
- "زي ما تحب يا "سيف"! "منصور"! خد دكتور  
"سيف" عندكم في المضيفة!"

مرت ثلاثة أيام لم يذق "سيف" فيهم طعم النوم، ولم  
يتوقف جلادوه عن التعذيب، ولم تعرف أسرته له أثر!  
وبعد أن توصلت أسرته إلى مكانه، تم إرسال محامي ليحضر  
التحقيق أمام النيابة ودفع المحامي ببطلان الإجراءات  
وتعرض موكله للتعذيب، وتم تحويل "سيف" للطبيب

الشرعي وتحويله للمحكمة بتهمة التحريض على العنف،  
والتآمر للانقلاب على نظام الحكم. وخلال الجلسات شهد  
"مراد" ضد "سيف" بأنه كان دائم الحديث في السياسة،  
وانتقاد أوضاع البلد، والدعوة إلى الثورة على النظام! وتم  
الحكم على "سيف" بخمسة عشر عاما مع الشغل والنفاذ،  
وتم فصله من الجامعة!

تذكر "يحيى" كل هذا خلال الخمس دقائق التي تلت  
المكالمة التليفونية. لذا، فقد التقط الهاتف واتصل بأحد  
أصدقائه:

- "ألو، إزيك يا "مجدي" باشا، أنا "يحيى السعدني"  
يا باشا. بخير الحمد لله. كان عندي استفسار  
صغير. مش إنت كنت متعين في سجن "العقرب"  
في التسعينات؟ كان فيه واد مسجون سياسي، كنت  
عايز أعرف هرب من عندكم امتي؟ اسمه "سيف  
الحديدي"!"

صمت برهة لينصت إلى محدثه ثم قال:

- "أكيد حضرتك متلخبط "سيف الحديدي" كان  
دكتور ومسجون في قضية قلب نظام الحكم!"،  
صمت مرة أخرى ثم أضاف:



- "سعادتك متأكد؟"، ثم أغلق الهاتف دون أن يودع  
محدثه!

## 17. يحيى السعدني

جلس "ياسين" في مكتبه يفكر في الخطوة القادمة عندما دخلت عليه "نورين"، كعادتها لم تبدأ بالحديث معه حتى لا تقطع عليه حبل أفكاره حتى رفع عينيه إليها في تساؤل فبادرته قائلة:

- "خطوتك الجاية ايه "ياسين"؟"

أجابها في ثقة:

- "الخطوة الجاية "يحيى" اللي هياخدها مش أنا".

سألته في قلق:

- "تفتكر هيبجي لك المكتب تاني؟"

مط "ياسين" شفتيه وهو يقول في تؤدة:

- "ما أفتكرش، هو طبعاً هيحاول إنه يواجهني بس

المواجهة دي أكيد مش هتبقى في الشركة، احتمال

كبير تبقى في الفيلا، علشان كده لازم كل حاجة تبقى

جاهزة لاستقباله!"

تصاعد قلقها وهي تقول:

- "أنا خايفه عليك يا "ياسين"!"

ابتسم وقال في لهجة حانية:

- "ما تخافيش عليا مش فاضل غيره، ودي تبقى

النهاية والبداية في نفس الوقت!"

سألته "نورين" في رجاء:

- "تفتكر هترتاح يا "ياسين"؟ إنت عشت كل ده

علشان هدف واحد، تفتكر لما الهدف ده يتحقق،

هترتاح؟"

قال في دهشة:

- "أكيد كل إنسان بيحقق هدفه بيرتاح!"

قالت في إصرار:

- "ده لما يكون الهدف طبيعي، هدف بناء ساعتها

بيكمل في تنمية اللي حققه أو حتى بيعتزل ويسيب

حد يكمل وراه، لكن لما الإنسان يبقى مستحوذ

عليه هدف مدمر وكرس نفسه له، بعد ما يتحقق،

إيه اللي هيحصل بعد كده؟ هيحس بإيه؟ هيعيش

لإيه؟ متهيألي إنت دارس سيكولوجي وفاهم قصدي

كويس، إنت بس بتهرب من الإجابة!"

أجابها في لهجة حاسمة:

- "يمكن يا "نورين"، لكن أنا خلاص وصلت لنقطة

اللا عودة وما فيش قدامي أي مجال للترجع، حتى

لو حبيت أتراجع ما عدش ينفع! زي كده اللي  
ماسك في باب الطائرة قبل ما ينط بالباراشوت هو  
ساب الباب خلاص وبدأ في السقوط مهما فكر أو  
قرر إنه يلغي النطة ويرجع الطائرة تاني مش هيقدر  
يعمل كده، لازم يكمل!"

سألته في أسى:

- "طيب وإيه اللي هيحصل لو الباراشوت ما  
فتحش؟"

ابتسم "ياسين" وهو يقول:

- "هيبقى ده نصيبه وقدره، يمكن الكلام ده كان  
ممکن نتكلم فيه في مرحلة ركوب الطائرة، الطائرة  
وهي طائرة، الاستعداد للقفز، أو حتى الوقوف على  
باب الطائرة، لكن بعد ما بقيت بره الطائرة عايزاني  
أرجع؟ طب إزاي؟ اللحظة اللي "يحيى" خرج فيها  
من المكتب عندي، هي دي اللحظة اللي ما بقاش  
فيها حاجة بتربطني بالطيارة، وبدأ السقوط الحر  
نحو الأرض! يا إما الخطة تكمل والباراشوت يفتح،  
يا إما هنزل على جدور رقبتي!"

- "بعد الشر عليك يا "ياسين"! " قالتها في وجل وهي

تشعر بقلبها ينتفض!

راجع "يحيى" معلوماته من أجل المواجهة المحتمومة بينه وبين "ياسين". كان يعلم أن اقتحام شركة "ياسين" مرة أخرى يعد ضرباً من الجنون. فالمكان مراقب بالكاميرات وكل شيء مسجل بالصوت والصورة. وما سيحدث في هذه المواجهة لا يجب تسجيله بأي حال من الأحوال. لذا فقد راجع إجراءات تأمين الفيلا متوقفاً أن هذا سيكون مباعثاً "لياسين" أو "سيف". من باب الاحتياط، سيقطع التيار عن الفيلا كلها ليعطل أي كاميرات مراقبة موجودة بالفيلا. وفي الليلة الموعودة، كان "يحيى" يتبع "ياسين" كظله منذ خروجه من الشركة وحتى عودته لفيلته. توقف "يحيى" بسيارته بعيداً عن الفيلا بمسافة بعيدة نسبياً، ثم تسلل من خلال سور الفيلا ووصل للوحة الكهرباء الرئيسية، ثم فصل كابلات المولد أولاً، ثم تبعها بالكابل الرئيسي فانقطعت الكهرباء عن الفيلا. فدلف إليها "يحيى" وهو شاهراً لسلاحه. أمن "يحيى" على الدور الأرضي، ثم صعد إلى الدور العلوي حتى وصل لغرفة النوم الرئيسية، ثم

اقتحمها مؤمناً جميع الزوايا حتى وصل لوسط الغرفة  
فوجد "ياسين" جالساً في هدوء:

- "أهلا يا "يحيى"، أنا مستنيك من بدري!"

صوب "يحيى" سلاحه اليه قائلاً:

- "أهلا يا "سيف" كنت فاكر إني مش هعرفك مش

كده؟ صحيح شكلك اتغير، عمليات تجميل؟"

أوماً "ياسين" برأسه إيجاباً في بطاء، فتابع "يحيى":

- "حظك حلو، لولا موضوع الثورة كان زمني

كشفتك من أول يوم، لكن معلش ملحوقة! عموماً

إنت برضه خدمتني إنك عرفتني إن "عزيز" ماسك

علينا ورق والحمد لله خلصنا منه!"

قال "ياسين" في ثقة:

- "يا "يحيى" إنت عرفت أنا مين علشان أنا عايزك

تعرف أنا مين! علشان تقف قدامي هنا، ونتكلم على

المكشوف! علشان أسألك وتجاوبني!"

- "تسألني؟ إنت مش واخذ بالك مين فينا اللي ماسك

المسدس ولا إيه؟ أنا اللي هسألك مش إنت اللي

تسألني! إنت إزاي هربت من السجن؟ ومين اللي

مات بدالك؟" قالها "يحيى" وهو يستعيد حواراه مع

صديقه على الهاتف: "سيف الحديدي" ما هربش، مات بعد شهرين من وفاة "زينة" مراته! غيبوبة سكر ومالحقنا هوش!! أنا متأكد من اللي بقولهولك! أنا شفت الجثة بعينيا دول!!"

قال "ياسين" في هدوء مستفز:

- "لو لسه فاكّر أي حاجة من أيام التحقيق معايا، أكيد هتفتكر إنك مش هتقدر تجبرني أقول لك حاجة، فخلينا نعقد صفقة مع بعض، انا أسألك سؤال، وإنّ تسألني سؤال!"

فكر "يحيى" قليلاً ثم قال:

- "بس أنا مش محتاج أسألك، مش هيفرق معايا، إنت هترجع السجن تاني!"

أجابه "ياسين" محاولاً استفزازه:

- "طيب، قبل ما أرد على الكلام ده، إنت محتاج تسألني، إنت ظابط ولازم تعرف، ولو ما عرفتش الفضول مش هيقّتلك بس هينغص عليك عيشتك وحياتك كلها، وهتفضل تلوم نفسك إنك ما عرفتش خصوصاً إن ده ما كانش هيكلفك حاجة!"

صمت "يحيى" لبرهة وهو يفكر إن "سيف" على حق! فهو قد يموت كمدأً إن لم يعلم كيف هرب "سيف" من محبسه! لذا فقد قال:

- "اتفقنا يا "سيف"!"

سأله "ياسين" في هدوء:

- "أنا سؤالى بسيط جداً، إنت عملت فيا كده ليه؟"

أطلق "يحيى" ضحكة قصيرة عصبية ثم قال:

- "يعني بعد 15 سنة وكل اللي إنت عملته ده علشان

تسألني السؤال ده؟ الموضوع ما كانش شخصي

بالمرة يا "سيف"! هو أنا كنت أعرفك أصلاً ولا فيه

بيننا حاجة؟ ده كان مجرد شغل! إنت بس رجعت

كليتك في توقيت غلط مش أكثر من كده. إحنا كنا

محتاجين "مراد" يبقى رئيس قسم والموضوع كله

كان عبارة عن خدمة لواحد من رجالتنا! وده في

الآخر كان لحماية البلد!"

سأله "ياسين" في دهشة ساخرة:

- "يعني دمرت حياتي ولفقت لي تهمة ورميتني في

السجن ومراتي اتقتلت وابني اتيتم، وكل ده مجرد

خدمة لواحد من رجالتكم؟ أمال لو كنت مترشح



لرياسة الجمهورية كنتم عملتوا فيا إيه؟ والظلم  
 اللي أنا شفته ده بيخدم البلد إزاي بالضبط؟"  
 قال "يحيى" في لهجة حاول أن يغلفها بالصرامة:  
 - "من مصلحة البلد إن "مراد" يبقى في الوظيفة دي  
 علشان بيخدم البلد من موقعه!"  
 سأله "ياسين" متهكماً:  
 - "هو إنت مصدق الكلام اللي إنت بتقوله ده؟"  
 ابتسم "يحيى" وهو يقول:  
 - "لا طبعاً بس عايزني أقول لك إيه؟ مانا قلت لك  
 إنها كانت خدمة شخصية وحت فيك!"  
 هز "ياسين" رأسه متعجباً:  
 - "جت فيا؟ هو إنت رميتني بزلطة علشان تقول لي  
 جت فيا؟"  
 زفر "يحيى" في ملل وهو يقول:  
 - "بقولك إيه؟ هي دي الإجابة اللي عندي! اتفضل  
 إنت جاوبني اتنيلت هربت إزاي؟ ومين اللي مات في  
 السجن؟"  
 سأله "ياسين" في هدوء:

- "قبل ما أجاب على سؤالك ده أحب أسألك عن حاجة تانية إنت قلتها، إنت هترجعني السجن بتهمة إيه؟"
- قال "يحيى" في سخرية:
- "إنت هربان يا دكتور! ولا نسيت؟"
- قال "ياسين" في لهجة أشد سخرية:
- "هربان من السجن بتهمة قلب نظام حكم سقط مع ثورة يناير تبقى القضية فشك أصلا وأي محامي بتلاتة مليم هيطلعني منها!"
- أدرك "يحيى" أن "ياسين" على حق فقال:
- "برضه ما جاوبتنيش!"
- قال "ياسين" في تشف:
- "ومش هجاوبك يا "يحيى"، ده انتقامي منك إني هسيبك كده هتموت وتعرف!"
- سدد "يحيى" المسدس لصدر "سيف" وهو يقول:
- "خلاص يبقى هتموت دلوقتي ما دام مش هترجع السجن!"
- مد "ياسين" يده لعلبة السيجار التي بجانبه:
- "طيب تسمح لي أشرب سيجار قبل ما أموت؟"

- "فكرتني، ده أنا كمان شايل السيجار بتاعي! في صحتك!" قالها "يحيى" ساخراً وهو يشعل سيجاره الذي أخذه من "ياسين" يوم اقتحم شركته، وأخذ ينفث دخانه في الهواء في تلذذ وهو ينظر "لياسين" في ظفر، بينما "ياسين" ينظر له في هدوء وصمت! فجأة أخذ "يحيى" يسعل في قوة، بينما "سيف" ينظر لساعة يده في تمعن وهو يقول:

- "ياسلام يا أخي ما تأخرش دقيقة!"

ونظر إلى "يحيى" الذي سقط أرضاً بلا حراك وبدا عليه كأنه فارق الحياة! نهض "ياسين" متوجهاً له وانحنى يلتقط مسدس "يحيى" وهو يقول:

- "جمال المخدر الي إنت أخذته ده والي أنا شخصياً طورته من "الستريكنين" لما كنت في كندا، إنت طبعا المفروض عارف "الستريكنين"، إنك هتفضل مشلول كده، والي حوالبك فاكرينك ميت، وإنت سامع وشايف كل حاجة ولا قادر تتكلم ولا قادر تنطق ولا قادر تبربش حتى وكل علاماتك الحيوية بتقول إنك ميت، إلا بقى لو حد عمملك رسم مخ مثلاً، أو رسم قلب غير كده ما فيش! قبل

ما أسيبك أحب أقولك إن كل الحوار بتاعنا اتسجل صوت وصورة! الكاميرات جايها ببطارية و"يو إس بي" علشان يشتغل لما الكهرباء تقطع، كل الكلام اللي إنت قلتة اتسجل واتبعت في ساعتها على كذا محطة فضائية، غير إنه اتحمل على النت، ده طبعا مع نسخة المستندات الخاصة "بعزيز"! وعلى فكرة يا "يحيى" أحب أقولك إن الموضوع شخصي تماما، إحنا من لحظة ما اتقابلنا، وبعد اللي انت عملته فيا، بقى فيه بينا حاجة، والموضوع بقى شخصي! مش زي ما كان بالنسبة لك! إبقى لما تشوف "مراد" و"عزیز" و"طلعت"، و"عادل" كمان، قول لهم "سيف الحديدي" بيبعت لكم سلامات حارة زي حر جهنم اللي هتتشووا فيها إن شاء الله!"

بقي "يحيى" على وضعه ورأى حذاء امرأة تخرج من الحمام الملحق بالغرفة وشعر بنفسه يحمل ويوضع في شنطة سيارة، وبعد فترة شعر بنفسه يحمل مرة أخرى ثم يوضع على أرضية غرفة ومن منظر الثريا والسقف أدرك أنه في غرفة الاستقبال بمنزله ثم أغمى عليه!

أفاق "يحيى" وهو على وضعه، وفتح عينيه فلم يطالعه إلا ظلام دامس، وشعر بشيء ملفوف على وجهه ويكبل ذراعيه. كان أثار العقار الذي تناوله في سيجار "سيف" يزول في بطاء، فما لبث أن استطاع تحرير يديه بعد أن مزق ما ظن في بادئ الأمر بأنه قيوده وأزاح الغطاء الذي على وجهه لتواجهه الحقيقة المفزعة! لم يكن ذلك غطاءً ولم تكن تلك قيوداً، بل كان كفنه، لقد تم دفنه حياً!! ترددت صرخات "يحيى" في أصداء المقبرة من الداخل، بينما وقف "ياسين" أمام قبر يحمل اسم "سيف الحديدي" وزوجته "زينة" وقرأ الفاتحة، وهو ينظر لساعته، ثم توجه للمطار ليلتقي "بنورين" زوجته ويستقلا الطائرة إلى كندا سوياً. في اليوم التالي وفي ركن صغير من جرائد الصباح تم كتابة خبر العثور على ضابط أمن دولة سابق ميتاً بالسكتة القلبية في شقته.

## 18. ذكريات

جلس "ياسين" في الطائرة المتجهة إلى كندا وبجواره "نورين" متأبطة لذراعه وهي نائمة في عمق لم تعرفه منذ رجوعهما إلى مصر، بينما اجتاحت رأس "ياسين" ذكريات عديدة.

كانت "نورين" خط الدفاع الثاني وقد استعدت بمحقن يحتوي على نفس الجرعة من عقاره المطور في حالة عدم تدخين "يحيى" للسيجار، كما أنه جهز سيجاراً آخر احتياطياً لو كان يحيى لم يحضر سيجاره معه. وكانت هناك كلمة سر بينه وبين "نورين":

- "لو سمعتيني بقول حرام عليك يا أخي، تبتدي

تتحركي! لو ما قلتش ما تتحركيش مهما حصل!"

كانت الكلمة قد تقع بسهولة في سياق مواجهته مع "يحيى"، وكان الأمر ينطوي على مخاطرة واحتمال اشتباك، ولكنه كان يراهن على خبرته في الطب النفسي وقراءته لشخصية "يحيى"!

استعد "ياسين" لجميع الاحتمالات ومنها قطع "يحيى" للتيار. كان تسجيل اعتراف "يحيى" لإثبات البراءة من أهم أهداف الخطة! استعداد لحظات الاستعداد للحفلة،

وتغييره للون شعره حتى يختلط عليهم الأمر! استرجع كيف تم دس أجهزة التنصت الدقيقة في أرجاء الفيلا، وكيف تم تسجيل حواراتهم وتسجيل الفيديو "لشاهنده" و"يحيى". استرجع كيف استولت "نورين" على المفاتيح من معارفهم لتصنع نسخاً منها. وكيف تم استخدام هذه النسخ أثناء تواجدهم في الحفلة للتفتيش في مستندات "عزيز"، ثم بعد ذلك لاسترداد الفيديو الخاص "بيحيى" و"شاهنده" من منزل "مراد". تذكر إعداده للخطة طوال خمسة عشر عاماً بعد سفره إلى كندا بعد وفاة "زينة"، و"سيف"!!! وكيف تمكن من الحصول على هوية جديدة باسم جديد. وكيف أن حتى "نورين" لا تعلم اسمه الحقيقي حتى هذه اللحظة! تذكر كيف وضعهم جميعاً تحت المراقبة لمدة عشر سنوات كاملة عن طريق استئجار مصري يحمل الجنسية الكندية ويعمل كمحقق خاص في كندا، وكم كلفه هذا من الأموال التي تركها له والده، ولكن الأمر كان يستحق! تذكر انتزاعه لبصمات والده المصنوعة من "اللاتكس" اللاصق من على أطراف أصابعه بعد أن حصل "يحيى" على بصماته وانصرف. تذكر كذلك أن تحليل "الدي إن إيه" لن يكون قاطعاً ولكن مع ما يحمله

من جينات والده بالإضافة للبصمات وبالإضافة إلى أن ذلك التحليل لم يكن بنفس الدقة في الماضي عندما تم القبض على والده، فغالباً أن الطبيب الشرعي سيعزو أي اختلاف في النتائج إلى اختلاف في دقة الطريقة المستخدمة.

تذكر مشاهد من حياته مع والديه، وكيف كانوا في منتهى السعادة! تذكر ملاحظات أبويه الدائمة عن أنه ورث عن أبيه عينيه وعبقريته ومرض السكري! تذكر استغلاله لثروة والده ليتفوق في الحصول على درجة الدكتوراه في الطب النفسي وأبحاثه الخاصة بالعقاقير التي تؤثر على الجهاز العصبي. تذكر يوم وفاة والدته وصدمة عندما خرج من غرفته ووجدها تفتersh الطريق والشقة خالية! تذكر استجواب النيابة ومواجهته "لطلعت" الذي أنكرك حتى وجوده ذلك اليوم مما أكد له أنه المسئول عن وفاتها!

تذكر زيارته لأبيه في السجن وانهياره لسماعه خبر وفاة والدته وتدهور صحته بسبب قلة العناية الصحية. تذكر كذلك كل ما قصه عليه أبوه مما فعله به "يحيى"، وشهادة "مراد" وتزوير "عزيز" للتقرير. تذكر يوم وفاة والده متأثراً بمرضه وكيف بدلاً من أن ينهار، أصر على الانتقام وهو لم يبلغ السادسة عشر بعد! تذكر كيف اكتشف بعد بحث أن



"عزيز" هو من أجرى التشريح وكتابة التقرير الخاص  
بوالدته! تذكر ابنه، "سيف طارق سيف الحديدي" الذي  
يبلغ من العمر أربعة سنوات والذي تركه مع جديه، والذي  
"نورين" في كندا ليتمكن من تنفيذ انتقامه. كم يشفق إليه!  
تذكر كل ذلك وكان أكثر ما يريجه هو أن ضحاياه ذهبوا إلى  
قبورهم وهم يظنون أن والده، رحمه الله، هو من فعل بهم  
هذا! كان هذا أكثر ما يهمه في الخطة بالإضافة إلى تبرئة اسم  
أبيه الراحل!

قرأ "طارق" لوالديه الفاتحة، ثم أمسك بيده كف  
"نورين"، وأغمض عينيه واستسلم للنوم فقد انفتحت  
مظلة الهبوط وانتهت الرحلة التي بدأت بدعوة..... للموت!  
النهاية

رقم الإيداع:

17785/2017

الترقيم الدولي:

978-977-6595-19-4

دعوة للموت

رواية

د. عمر فتحي

الصفحة الرسمية:

<https://www.facebook.com/noveldoctor/>

فيديو "البرومو" الخاص بالرواية:

<https://www.youtube.com/watch?v=1IFcFy>

[5GfqE&t=](https://www.youtube.com/watch?v=1IFcFy5GfqE&t=)

البريد الإلكتروني للمؤلف:

[dromarof@gmail.com](mailto:dromarof@gmail.com)

أعمال أخرى للمؤلف:

انتقام ميت

<https://www.youtube.com/watch?v=k1AqS>

[5AS7YA&t=](https://www.youtube.com/watch?v=k1AqS5AS7YA&t=)

أنفاس الشيطان

[https://www.youtube.com/watch?v=-  
37nK8UQCsY&t=](https://www.youtube.com/watch?v=-37nK8UQCsY&t=)

## الفهرس

دعوة للموت

الدعوة

الحفلة

خيانة

المأزق

وثائق

الشركاء

الشبح

صوت الماضي

المزور

الضابط

الخطة

مراد السرساوي

طلعت ذهني

اقتحام

عزيز رفعت

سيف الحديدي

يحيى السعدني

ذكريات

